244

HARLEQUIN

روايات أحلام

الهروب الأخير

بيتي نيلز

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

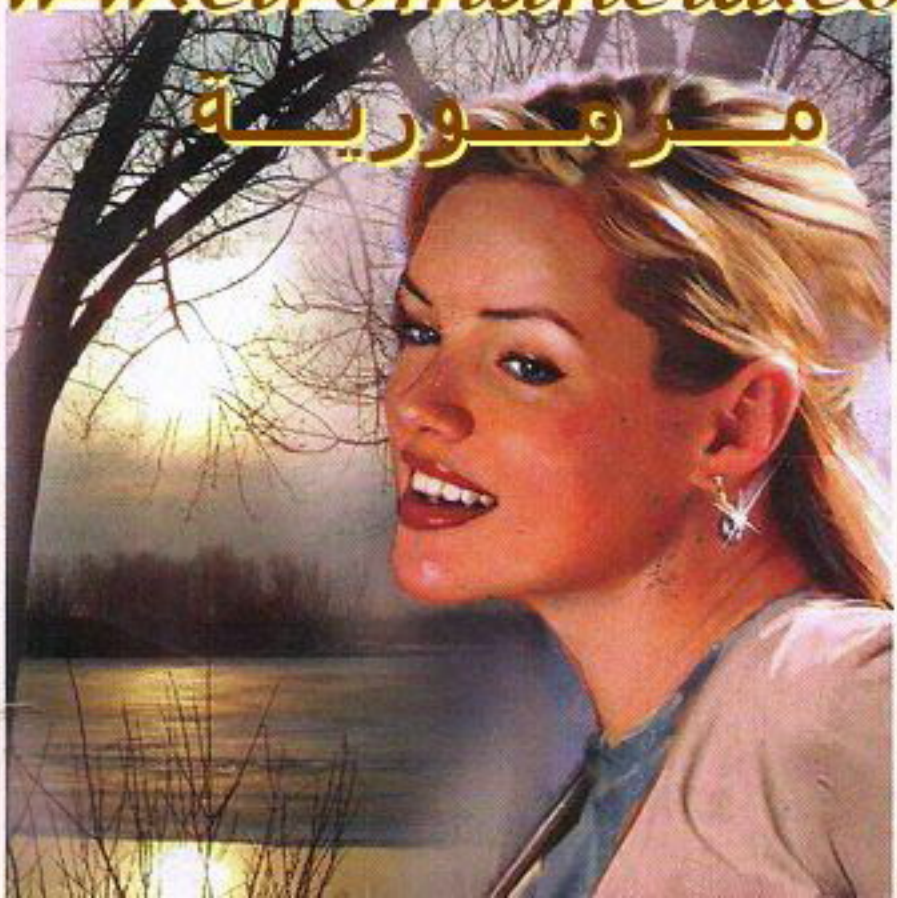

الهروب الأخير

قالت جوليا بعصبية: "أمل ألا ألتقي هذا الرجل مجددا".
- لا أظنك ستلتقينه فمستواه أرفع من مستوانا.
تملكها الفضول فسألت: "لم تقولين إنه رفيع المستوى؟".
- لأنه يحتل الصدارة في عالم الطب. ولأنه ينحدر من عائلة عريقة ثرية. ولكنه رجل غامض جدا.
أجابت جولي: "على الأرجح. لن يجد امرأة مناسبة له".
علقت روث: "أنت تبغضينه. أليس كذلك؟".
تبغضه؟ لا تعرف. تحبه؟ أيضا لا تعرف... كل ما تعرفه أنها أخذت تقضي حياتها في الهروب منه. بينما أخذ البروفيسور جيرارد يظهر عند كل مشكلة تقع فيها لينقذها... فلماذا يهتم رجل مثله بفتاة عادية جدا مثلها؟ الجواب المناسب لن يخطر في بالك أبدا، يا جوليا!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-077-X

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

An Independent Woman

First published in Great Britain 2001

Harlequin Mills & Boon Limited

© Betty Neels 2001

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 077 - X

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص

أسرة أحلام

www.elromancia.com

بيتي نيلز

أمضت بيتي نيلز طفولتها وصباها في ديفونشاير قبل أن تتابع تدريباً كممرضة وقابلة قانونية. عملت ممرضة في الجيش خلال الحرب وتزوجت من رجل هولندي حيث عاشت في بلاده أربعة عشر عاماً. تعيش حالياً مع زوجها في دورست، ولديها ابنة وحفيد. أما هواياتها فالقراءة والحيوانات والمباني القديمة والكتابة. بدأت بيتي بالكتابة بعد تقاعدها من مهنة التمريض، وقد شجعتها على ذلك سيدة في المكتبة كانت تتحسّر على النقص في الروايات الرومانسية.

١ ـ تطلب يده

على غرار مئات من الشوارع في هذه الناحية من لندن، كان الشارع رديئاً ولكنه أنيق بعض الشيء لأن سكان منازله فعلوا ما بوسعهم لتجميله، حتى أنهم علّقوا الستائر على النوافذ. وكانت الواجهة الخارجية لا تزال بأفضل حال وإن بحاجة لوجه آخر من الطلاء لكن. بالرغم من هذا كلّه، يحيط بالمكان جوّ من الملل والكآبة.

نظرت «روث» عبر نافذة إحدى تلك المنازل وعلت التكشيرة وجهها عندما تراءى أمامها ذاك المنظر الكئيب وقالت:

ـ لا أظنني أحتمل العيش في هذا المكان مدة أطول. . .

ـ لست مضطرة لذلك، فتوماس سيترقّى إلى منصب أعلى، عندئذٍ تتزوجين به وتسعدين إلى الأبد.

قالت «جوليا» هذا وهي جاثية على سجادة رثة تثبت ورقة على قطعة قماش معرّقة. إنها فتاة جميلة، بشعرها البنيّ المعقوص، وأنفها المستدق وثغرها العريض. أمّا عيناها فرماديتان يعلوهما حاجبان عريضان. وعندما وقفت، بدا جلياً أنها ممشوقة القوام وجميلة القدّ.

اقتربت «جوليا» من شقيقتها وأضافت: «من الجيد أن الدكتور «غودمان» ليس لديه عملية يجريها هذا الصباح، فما من حاجة لكي تخرجي».

ـ ستكون العمليات المسائية كثيرة. . .

www.elromancia.com

حوّلت الشقيقتان نظرهما نحو الباب حين دخلت فتاة أخرى، وهي «مونيكا»، فتاة جميلة جداً تشبه شقيقتها الكبرى.

ففي حين أن «جوليا» فاتنة بشعرها البني، كانت شقيقتاها جميلتين بشعرهما الأشقر وعينيهما الزرقاوين. و «روث» أطول من «جوليا» بقليل ولكن كلتيهما نحيلتان وجميلتا المظهر.

قالت مونيكا والبسمة تعلو ثغرها: «لدي عطلة ولكن الله وحده يعلم عدد الاطفال الذين سيمرضون بسبب هذا الطقس. كان جورج سيزور...

جورج كاهن الرعية، وهو شاب وسيم، مفعم بالحيوية ومغرم جداً بمونيكا.

تودّعت الفتيات الثلاث، ثم قالت روث: «سأذهب لأغسل شعري».

في حين انحنت جوليا مجدداً لتلتقط المقص عن السجادة.

في هذه الأثناء، دقّ جرس الباب، فصاحت روث: «لا بدّ أنه بائع الحليب، لقد نسيت أن ادفع له... سأفتح».

وقف البروفسور (جيرارد فان درمايس) عند عتبة الباب ونظر حوله. لقد جاء يسلّم لخطيبة توماس طرداً من الضروري أن تتلقاه بأسرع وقت ممكن.

وبما أن توماس مشغول في عمله والبروفسور متوجه نحو مستشفى «بورمينغهام» وعليه أن يمرّ في الضاحية الشمالية للندن، عرض أن يسلّم الطرد بنفسه. لكنه تمنى لو أنه لم يعرض خدماته فقد استغرق عثوره على المنزل وقتاً فاق توقعاته كما لم يعجبه الشارع على الاطلاق.

كان يستمع من وقت إلى آخر إلى الملاحظات التي يقولها توماس عن خطيبته ولكن أحداً لم يقل له إنها تعيش في هذا الحيّ البالي من المدينة. إنما الفتاة التي فتحت له الباب عوّضت عن المحيط أكثر ممّا

يلزم.

وإذا كانت هذه هي روث، فلا بدّ أن توماس رجل سعيد فعلاً. مدّ يده ليصافحها قائلاً: «ڤان درمايس، زميل توماس. أرادك أن تحصلي على هذا الطرد وكنت متوجهاً إلى هنا...».

ابتسمت روث: «بروفسور ڤان درمايس، هذا لطف منك».

ثم أضافت: «تفضل سأحضر القهوة».

تبعها إلى الردهة الضيقة ثم إلى غرفة الجلوس وندهت: «جوليا...».

وبدون أن تنظر إلى شقيقتها، أجابت جوليا: «إذا كنت تريدين المال، فخذيه من حقيبتي... لا تقاطعيني وإلاّ قصصت من القماش أكثر مما ينبغي».

ـ إنه البروفسور ڤان درمايس.

ـ أوليس الرجل العجوز المقيم في الناحية الأخرى من الشارع؟ توقّعت أن يكسر رجله يوماً ما وهو خارج بخفيّه.

نظرت روث إلى البروفسور نظرة اعتذار وقالت لشقيقتها: «لدينا زائر، جوليا».

عندئذٍ استدارت جوليا ونظرت إليهما وهما عند الباب.

بدت روث منزعجة في حين شعر ضيفها ببعض التسلية، ووقفت جوليا ونظرت إليه. لم يكن يجسد الصورة التي كوّنتها عن البروفسورات فهو طويل القامة، عريض المنكبين، شعره أسود يتخلله الشيب، وحاجباه الكثيفان يعلوان عينين باردتين وأنف جميل مستدقٍ وشفتين رقيقتين.

فكّرت جوليا أنه اقرب إلى الصداقة منه إلى العداوة ولكن هذا لا يعني أنه ودود جداً... وحيّته برفق.

وقالت روث قبل أن تغلق الباب خلفها: «سأحضر القهوة».

قالت جوليا محاولة أن تبدو اجتماعية: «تفضل بالجلوس».

غير أنه اجتاز الغرفة ليقف بالقرب منها وينظر إلى المواد المبعثرة على السجادة.

ـ يبدو أنها ستارة.

فأجابت جوليا بفظاظة: «إنه كذلك».

كانت على وشك أن تقول له إنها عندما تنتهي من حياكته سيكون فستاناً مناسباً للحفلة السنوية التي تقيمها الشركة حيث تعمل. وهي ليست بالمناسبة الرائعة غير أنها تُقام في أحد فنادق لندن الشهيرة، كما أنه منتصف شهر شباط والأجواء مملة بعض الشيء لذا تستحق المناسبة جهداً من قبلها لتظهر بكامل اناقتها. وتذكرت أصول اللياقة وتابعت الحديث معه:

ـ هل تعرف توماس؟ أفترض أنك تعمل في المستشفى. إنه خطيب روث. أهو مريض أو ما شابه؟

ـ أعرف توماس واعمل في المستشفى نفسه وهو بصحة ممتازة.

ـ جيد، لكنني افترض أنه منهمك بأعماله.

ـ نعم بالفعل.

وقع نظره على الستار مرة جديدة: «أنت خيّاطة ماهرة».

ـ عندما أشعر باليأس فقط. ماذا تفعل في المستشفى؟ أظن أنك تعلّم، إذا كنت بروفسوراً؟

ـ افعل ما بوسعي. . . .

ـ ماذا تعلّم؟

ـ الجراحة.

ـ إذاً، أنت بارع في استعمال الإبرة أيضاً.

غير أن روث دخلت الغرفة محضرة القهوة، قبل أن يتمكن من الإجابة وسألتهما سعيدة: «هل تعارفتما؟ شكراً لإيصال الطرد،

بروفسور. آسفة، لن ترى مونيكا، فهي تدير مدرسة الأطفال هنا. من حسن حظي أنه ليس لدي عمل قبل الظهر. أمّا جوليا، فهي دائماً هنا، طبعاً. إنها تعمل في المنزل وتكتب اشعاراً لبطاقات المعايدة».

قدمت روث القهوة، غافلةً عن تكشيرة جوليا.

فقال البروفسور: «مثير للاهتمام!».

نظرت إليه نظرة سريعة ظناً منها أن الامر راق له وإن لم يظهر على وجهه ما يوحي بذلك.

وسألته روث بشيء من التردد: «أفترض أن توماس لم يعرف بعد إذا ما نال الترقية؟ أعرف أنه كان ليتصل بي، ولكن انشغاله. . .».

ـ اطمئني، سيعرف ذلك اليوم. إنه رجل طيب وسأكون سعيداً إذا انضمّ إلى فريق عملي.

ثم ابتسم لروث قائلاً: «أيعني هذا أنك ستتزوجين؟».

ابتسمت روث وتابعت الحديث بلطافة: «نعم، ما إن نجد منزلاً نسكن فيه. لقد تركت لنا عمتي هذا المنزل الذي انتقلنا للعيش فيه بعد وفاة والديّ، لكنني أظن أن الجميع سيسعد عندما نتزوج ونرحل عن هذا المكان».

ثم سألها البروفسور: «شقيقتك الأخرى، مونيكا؟».

ـ آه، إنها مخطوبة للكاهن، لكنه ينتظر أن ينتقل إلى رعية أخرى. أمّا جوليا فلديها معجب، إنه أحد الشركاء في المؤسسة التي تعمل فيها. لقد تدبر الجميع أمره، أترى؟

نظر إلى جوليا التي لم يكن يبدو عليها الارتباط اطلاقاً، فاحمّر وجهها وبدت وكأنها تودّ أن ترمي شيئاً. قالت ببرودة: «أنا متأكدة من أن البروفسور ليس مهتماً بشؤوننا على الاطلاق».

ثم امسكت بإبريق القهوة مضيفة: «أتودّ المزيد، بروفسور؟».

دفعته نبرة صوتها للموافقة وتأجيل رحيله، فارتشف فنجاناً آخر.

أمّا هي فشعرت بالكره نحوه واعتقدت أنه لن يرحل أبداً.

لكن عندما رحل، قال لها إن الفستان سيلفت الانظار. رافقته روث إلى الباب وعند عودتها، قالت لجوليا التي استعادت وضعيتها على السجادة.

ـ لديه سيارة رولزرويس، كان عليك رؤيتها. لقد تصرّفت بطريقة فظة بعض الشيء مع هذا الرجل اللطيف.

قصّت جوليا القماش بشراسة: «آمل ألاّ ألتقيه مجدداً».

ـ حسناً، لا أظنك ستلتقينه فمستواه أعلى من مستوانا.

ـ ومما يشكو الجرّاح الصاعد ورجل الدين؟

وكادت تضيف: «والشريك الصغير في شركة تصنيع بطاقات معايدة».

لكنها لم تفعل لأن أوسكار، المعجب بها بحسب قول الجميع، لا يلائمها. وتملّكها الفضول فسألت: «لِمَ تقولين إنه رفيع المستوى؟».

ـ لأنه يحتل الصدارة في عالم الطب ونال لقباً كبيراً. كما أنه يتحدّر من عائلة عريقة فاحشة الثراء. لكنه لا يتكلم عن نفسه اطلاقاً. ويقول توماس إنه رجل غامض جداً.

أجابتها جوليا: «على الأرجح لن يجد أي امرأة مناسبة له بما يكفي».

علّقت روث بلطف: «أنت تبغضينه، أليس كذلك؟».

عاودت جوليا استعمال المقص وقالت: «أبغضه؟ أنا بالكاد اعرفه. هل نأكل الجبن والخبز المحمّص على الغداء؟ سأحضر بعضاً منه مع الشاي. لا بدّ أن مونيكا ستأتي وهي تتضوّر جوعاً. وإذا ذهبت إلى السوق، أحضري بعض اللحم بينما احضّر الحلوى فهي مغذية وزهيدة الثمن».

تعيش فتيات أسرة غرايسي الثلاث معاً بغية التوفير في المعيشة،

ويسكن في منزل صغير ورثنه عن عمّتهن التي توفيت منذ فترة طويلة. وقد اعتدن الاقتصاد في النفقات.

كان المنزل ملكهنّ لكن عليهنّ دفع الضرائب ونفقات الغاز والكهرباء والملبس والمأكل.

لم تتعلم أيّ منهنّ العمل في عالم الأعمال، وقد وجدن أنفسهنّ في أحد الأيام مجرّدات من كل شيء إلاّ بعض الذكريات عن والدين توفيّا في حادث سيارة وعن حياة رخاء في منزل جميل في الريف بدون أيّ هاجس أو قلق حول المال.

اهتمت جوليا بتنظيم شؤون العائلة وتحديد المصاريف وتولّت مسألة بيع المنزل لكي تدفع الديون وتتفاوض مع مدراء المصارف لتسترد ما تبقى من استثمارات والدها القليلة.

وما إن انتقلت الشقيقات الثلاث إلى منزلهن الجديد حتى حثّت جوليا روث على قبول وظيفة سكرتيرة لدى أحد الأطباء، بينما راحت هي تبحث عن عمل لها، ووجدت مونيكا عملاً في مدرسة حضانة. غير أنّ الحظ لم يحالف جوليا إلى أن وقعت في إحدى الصحف على إعلان نشرته شركة إنتاج بطاقات معايدة. فقالت جوليا في قرارة نفسها: «لا ضير من التجربة».

وراحت تؤلف بعض الاشعار التي أرسلتها إلى الشركة وتفاجأت حين تمّ توظيفها.

لم يكن راتبها مغرياً، لكنها تستطيع العمل في منزلها والاهتمام بالتنظيف والطهو. وقد تدبّرت الشقيقات الثلاث أمرهنّ جيداً.

تعرّفت روث إلى توماس عندما قصدت المستشفى لإحضار نتائج بعض الفحوصات للدكتور غودمان، وسيتزوجان قريباً. وعلى الرغم من الحبّ الذي تكنّه مونيكا للأولاد، إلاّ أنها لم تكن واثقةً من أنها تريد ملازمة البيت ولا سيّما في محيط مزعج كهذا.

وسمعت في أحد الأيام جورج وهو يخبر الأطفال قصصاً من كتاب قديم، فتغيرّت أفكارها حول إيجاد عمل جديد يتناسب أكثر مع ميولها. وبالرغم من أن عليهما أن ينتظرا قليلا ريثما يجد جورج رعية يستقر فيها إلاّ أنهما سعيدان في الوقت الحاضر.

لم يبقَ سوى جوليا وهي شابة في الرابعة والعشرين من عمرها، تنبض بالطاقة والحياة. هي فرحة بطبعها، تمضي وقتها بتأليف الأشعار القصيرة وتنظيف المنزل. وبما أنها بارعة في الخياطة، فهي تقلّد الموضة جيداً وتخيط دائماً أثواباً جميلة تبرز جمالها.

اعتبرت جوليا أنّ من حسن حظها ألاّ يكون اوسكار مولعاً اطلاقاً بالثياب والموضة. وأوسكار معجب بجوليا في الوقت الحاضر ليس إلاّ، على الرغم من أنه وعدها بأن تتطور العلاقة عندما يصبح الوقت مناسباً.

قد يسخر البروفسور المزعج من الستار لكنّ أوسكار لن ينتبه إلى أنه ستار. وإن انتبه للأمر، لوافق على تصرفها لأنه اقتصادي ولا يحب إنفاق المال.

كما أنه عنيد، فقد حاولت مراراً وتكراراً طرد فكرة الزواج بها من رأسه قائلةً إنها ليست الزوجة المناسبة له. إلاّ أنه رفض الفكرة، وعلى الرغم من الاعتذارات العديدة التي قدمتها، أصرّ على أن تحضر الحفل الراقص الذي تقيمه شركة بطاقات المعايدة. وقد شجعتها روث ومونيكا على الذهاب والاستمتاع. لكنّ أيّاً منهما لم تلتقِ يوماً بأوسكار، ووافقت جوليا لأن شقيقتيها تشعران بالأسى لفكرة زواجهما وتركها وحيدة. وعندما فكرت هي أيضاً بهذا الموضوع، شعرت بالأسى.

وضعت الفستان الذي تحيكه جانباً وراحت تقوم ببعض الاعمال المنزلية فوجدت نفسها تفكّر بالبروفسور الذي بدا لها رجلاً ممّلاً

وبغيضاً مع مرضاه.

ولكن على عكس ما تصوّرته جوليا، كان البروفسور ڤان درمايس يعامل المرضى الذين يقصدون عيادته بالمئات، بمنتهى الطيبة والصبر ويستقبلهم ببسمة مشجّعة ولهجة مُطمئنة. لقد تعب كثيراً في حياته لأنه لطالما عمل بجدّ وجهد، غير أن أحداً من مرضاه لم يجده يوماً لامبالٍ، ونادراً ما أظهر هذا الجانب من شخصيته.

وسرعان ما اكتشف فريق الممّرضين العامل معه أنه لا يحتمل الإهمال، وأنه يريد منهم أن يبذلوا قصارى جهدهم.

أمّا بالنسبة إلى طلاّبه، فهو المثال الأعلى الذي يسعون للتشبه به، وكلمة تشجيع واحدة منه خير من عشرات الخطابات التي يلقيها سواه. يطلقون عليه اسم «الرجل العجوز» في غيابه غير أنهم يدافعون عنه بشراسة إذا ما انتقده أحد الأغبياء.

لم يتأثر البروفسور يوماً بآراء الآخرين عنه، سواء إذا كانت جيدة أم سيئة. فهو جرّاح بارع ويحب عمله.

كما أنه يعيش حياته الاجتماعية عندما يسمح له عمله بذلك وهو محبوب أيضاً. وبما أنه عازب، يمكنه أن يختار المرأة التي يريد من اللواتي يلتقيهن، لكنه لم يظهر يوماً اهتماماً بأيّ منهنّ.

وهو يعتقد أنه في مكان ما من العالم، تعيش المرأة التي سيقع في حبّها يوماً ويتخذها زوجةً له، لكنّه لم يعد شاباً ولا يرغب أن يعيش أيامه الأخيرة كعازب عجوز وفظ.

لم تخطر في باله فتيات أسرة غراسي الثلاث إلاّ في طريق عودته إلى لندن قبل بضعة أيام. من وجهة نظره، ستكون روث زوجة مناسبة لتوماس فهي جميلة ببسمتها الخجولة وصوتها الناعم.

لكنّه بالكاد فكّر في جوليا التي اعتبرها جميلة إنّما لاذعة اللسان، لا تبذل أي جهد لتكون لطيفة. ولم يستطيع أن يتصوّرها تؤلف الاشعار

لبطاقات المعايدة. ثم هي المرأة التي ترتدي فساتين مصنوعة من الستائر؟ ضحك ثم نسي أمرها.

أقيمت الحفلة الراقصة بعد عشرة أيام، في أحد أفخم الفنادق وتناول الجميع العشاء قبل الانتقال إلى صالة الرقص.

حرصت روث ومونيكا على أن تستمتع جوليا بوقتها فزوّداها بحذاء وشال قديم إنما رائع، يعود لوالدتهنّ. كما طلبا لها سيارة أجرة على الرغم من احتجاج جوليا التي اعتبرت ذلك تبذيراً، فالرحلة طويلة في الحافلة إنما أقل كلفة، غير أن شقيقتيها أصرّتا مشيرتين إلى أنه كان بوسع اوسكار أن يصطحبها من المنزل بدلاً من ملاقاتها هناك...

لقي الفستان استحساناً كبيراً بغضّ النظر عن مصدره، فهو بسيط إنّما جميل جداً. وما لم يرَ المرء الستار معلقاً في غرفة النوم، لما عرف أبداً...

نزّجلت جوليا من سيارة الأجرة راضية عن نفسها لتجد أمامها البروفسور. قال لها: «يا لها من مفاجأة سارة!».

ثم نظر حوله، وأضاف: «جئت بمفردك؟».

ألقت عليه التحية بصوت مخنوق وأجابت: «تواعدت مع أحدهم في الفندق».

ألقت نظرة حولها بحثاً عن أوسكار، لكنها لم تجد له أي أثر. قال لها إنه سيلاقيها عند مدخل الفندق لكنها ظنت أنّ عليها الدخول والبحث عنه.

كيف أتى البروفسور إلى هنا؟ وأي سوء طالع جلبه؟ بالطبع لا علاقة له ببطاقات المعايدة.

برر لها قائلاً: «تواعدت مع بعض الأصدقاء هنا وسندخل معاً أيضاً».

دفع لسائق سيارة الأجرة وسأل جوليا: «هل سيبحث عنك صديقك

في الداخل؟».

تصرّف معها بلطف ورقة لم يتركا لها مجالاً للتذمّر. بحثت جاهدةً عن شيء تقوله حين فتح لهما البواب الباب لينضمّا إلى المدعوّين. لم تجد أي أثر لأوسكار، وشعرت أنها تصرّفت بغباء عندما قبلت دعوته.

قال لها البروفسور: «دعيني آخذ شالك، سأعطيه للسيدة لكي تعلّقه».

أخذه منها وتركها وحيدة للحظات قبل أن يعود ببطاقة دسّها في حقيبة يدها.

عندئذٍ وجدت ما تقوله: «شكراً، سوف... سوف أنتظر هنا، حتى يوافيني أوسكار...».

ـ أوسكار؟ نعم، طبعاً. إذا لم أكن مخطئاً، فهو...

كان يمكن أن تستر برؤيته لو أبدى بعض الندم لتأخّره، لكنّه اكتفى بالقول: «آسف أيتها السيدة العجوز، تأخرت لأن كثيرين أرادوا التحدث إليّ».

ثم تأملها من رأسها إلى أخمص قدميها وأضاف: «هل ابتعتِ فستاناً جديداً للمناسبة؟ لا بأس به، لا بأس به إطلاقاً...».

ووقع نظره على البروفسور الذي لزم مكانه فسأل: «هل أعرفك؟».

أدركت جوليا أن البروفسور يحدّق بالستار، فقالت بلهجة لاذعة: «لا، أوسكار، لا تعرفه. إنه البروفسور ڤان درمايس، صديق خطيب روث».

بدا أوسكار مرتبكاً أمام نظرات البروفسور: «سررت بمعرفتك. هيا يا جوليا، سأجد لك مكاناً تجلسين فيه. عليّ التحدث إلى زبونين مهمّين، لكننا سنتمكن من الرقص، فلا تقلقي».

أومأ برأسه للبروفسور الذي لم يُعره أي اهتمام بل قال لجوليا:

www.elromancia.com

«أتمنى لك سهرة ممتعة».

وما إن رحل أوسكار بفظاظة ليكلّم أحد الاشخاص حتى أضاف: «لكنني أشك في ذلك».

ثم تابع كلامه بلهجة ساخرة بعض الشيء: «لا يسعني القول إنني لا أوافق أوسكار الرأي، لكنني أعرف أن فستانك مصنوع من الستائر، أليس كذلك؟».

ندم لقوله هذا فقد بدت كطفلة صغيرة تلقت صفعة بدون أي سبب.

لكنها سرعان ما حدّقت في وجهه الوسيم قائلةً: «إرحل بروفسور. أنت لا تروق لي وآمل ألاّ أراك مجدداً».

تكلمت بهدوء تام غير أن نظراتها كشفت بغضها، ثم أدارت ظهرها، مذهولة للغضب الذي تملّكها.

لم يعجبها في المرة الأولى ولن تهتم الآن إذا سخر من فستانها أو أعجبه. قالت لنفسها إن ما يهمها هو أن يعجب أوسكار لكنها لا تصدّق كلمة من هذا كلّه.

عندما أنهى أوسكار حديثه، رافقته إلى صالة الرقص حيث دعاها للجلوس على أحد المقاعد المذّهبة وطلب أن تنتظره قليلاً ريثما يعود ليراقصها.

ولكن سرعان ما أحاط بها عدد من الرجال الذين رأوا شابة فاتنة جالسة بمفردها، فرقصت مع أحدهم إلى أن أصبح أوسكار مستعداً لمراقصتها.

قال لها بلهجة صارمة وقاسية: «بعض هذه الرقصات الحديثة غير لائق. كان من المستحسن أن تنتظريني بهدوء ريثما أعود».

ـ لكنني أحب الرقص، أوسكار.

أجابها أوسكار في أوج غضبه: «الرقص باعتدال خير تمرين».

توقفا عن الشجار عندما توقف العزف. فأنصحت جوليا عن أفكارها قائلةً: «أتريد أن تتزوج بي يا أوسكار؟».

نظر إليها باندهاش وعدم رضى، وقال: «جوليا، يا له من...».

وراح يبحث عن الكلمة المناسبة إلى أن وجدها: «... يا له من اقتراح لا يليق بامرأة، آمل أنها زلّة لسان».

ـ لا علاقة لهذا بزلّة اللسان، إنما هي فكرة خطرت لي.

ثم نظرت إليه مضيفة: «لم تجبني أوسكار؟».

ـ ولا أنوي ذلك. لقد صدمتني جوليا. ربّما يجدر بك الدخول إلى الحمّام لتهدئي قليلاً.

ـ أظن أنّ هذا أفضل ما يمكنني فعله.

تقع صالة الرقص في آخر الفندق، فلزمها بعض الوقت لتجد حجرة الملابس حيث وضع البروفسور شالها. عليها الآن أن تستقل حافلة لأنّ ما لديها من مال لا يكفي لسيارة أجرة. ولكن الوقت لا يزال مبكراً، فلا بأس بذلك.

وضعت الشال على كتفيها واجتازت الردهة التي كانت لا تزال تعجّ بالناس. وبينما هي تتجه نحو الباب، ظهر البروفسور أمامها كالنسيم واضعاً يده أمامها مانعاً إياها من التقدم.

ـ لن ترحلي الآن؟ فبالكاد وصلت.

اضطرت للتوقف، وقالت بكل تهذيب: «بلى، سأرحل، بروفسور».

ثم نظرت إلى يده: «إلى اللقاء».

لم يُعِر ما قالته أي اهتمام ولا أزاح يده من أمامها: «أنت غاضبة، تبدين كمن يوشك أن ينفجر. سأصطحبك إلى المنزل».

ـ لا، شكراً يمكنني أن أذهب بمفردي.

لكنه تابع قائلاً بكل لطف: «سيأتي حبيبك أوسكار للبحث عنك».

ـ أوسكار ليس حبيبي . . .

ـ لا يمكنني أن أقول إنني تفاجأت. والآن هيا بنا، فما قلته عذر مناسب لي لكي أصطحبك ونغادر هذا المكان.

خرجا معاً في تلك الليلة الباردة، وبلطف أدخلها سيارته المركونة في الجوار.

وعندما جلس بالقرب منها، سألها: «هل ستبكين؟».

ـ بالطبع لا، ثم لا أرغب إطلاقاً في أن أكون في سيارتك. أنت تتصرف باستبداد، بروفسور. لست طفلة.

نظر إليها مبتسماً: «لا، أدركت ذلك. هل تشعرين بالجوع؟».

ذُهلت لسؤاله: «نعم. . .».

ـ رائع. بما أنك لن تبكي وبما أنني أشعر بالجوع أيضاً، سنقصد مكاناً نتناول فيه العشاء.

رفضت جوليا قائلةً: «لا».

ـ يا عزيزتي، تعقّلي، هذا ما يجب أن نفعله.

ثم أدار محرك السيارة مضيفاً: «هيا لنعقد صلحاً الآن، ولاحقاً يحق لك أن تكرهيني إذا ما رأيتني على عتبة بابك».

كانت جائعة وقد أغوتها فكرة العشاء فقالت له: «حسناً، ولكن ليس في مكان فخم، فالستار. . .».

فأجابها بهدوء: «أعتذر عمّا قلته. تبدين جميلة جداً ولن أغفر لنفسي فظاظتي. سنقصد مكاناً تشعرين فيه بالراحة».

بدا لطيفاً معها فأحست بارتياح أكبر.

ـ ربما ليس إلى هذا الحدّ. . .

لكنه أفسد كل شيء بقوله: «هل فساتينك كلّها مصنوعة من الستائر؟».

ثم نظر إليها وتابع: «لا بدّ أنك شابة موهوبة وبارعة».

كانت على وشك ابتكار ردّ لاذع إلاّ أن فكرة العشاء لاحت في بالها.

لم تراودها أي فكرة عن سبب دعوته لها ولم تهتم البتّة لذلك. كل ما تريده هو اختيار الأطباق الشهية. . . قصدا مطعم «الهيلتون» حيث تحدث إلى رئيس الخدم، ثم تبعها إلى إحدى الطاولات.

بعد أن أدرك البروفسور ارتياحها لبعد الناس جميعاً عن طاولتهما، سألها:

ـ الآن، ماذا سنطلب؟ أنصحك بسوفليه الجبنة، كما أنّ طبق السمك شهي كذلك.

عندما وافقت على اقتراحه، طلب الطعام، ثم التفت إلى قائمة العصير، ممّا أتاح المجال أمام جوليا لتفحّص قائمة الطعام. ما من حاجة لتزعج نفسها وتختار الأطباق الباهظة فكلها باهظ.

كان الطعام شهياً ومطهواً على يد طهاة بارعين. وبالكاد فكّرت في أوسكار، فراحت تتناول العشاء، وتتحدث إلى البروفسور بكل لطف بينما راح هويفكّر بما دهاه ليدعوها على العشاء.

فهو نادراً ما يخرج وإذا ما فعل، فترافقه إحدى الشابات الأنيقات والنحيفات اللواتي يُعرن اهتماماً كبيراً لما يمكن تناوله وما لا يمكن. على عكس جوليا التي تناولت كل ما قُدّم لها بشهية واحتست العصير أيضاً. وبينما هما يرتشفان القهوة، سألت جوليا: «إذا كنت هولندياً، لِمَ تعيش في انكلترا إذن؟».

ـ لا أعيش هنا بشكل دائم. فمنزلي في هولندا وأنا أعمل هناك أيضاً. وسأعود إلى بلدي في غضون أسابيع لأبقى شهراً أو أكثر.

ـ أنت بعيد عن الاستقرار. لكنني أفترض أن الخيارات متاحة أمامك.

وافق على كلامها بلطف: «نعم، أظن ذلك. والآن ماذا ستفعلين

بشأن أوسكار؟».

ـ يمكنني القول بأنني لا أناسب مساهماً في الشركة...

ـ وهل سيفطر هذا قلبك؟

ـ لا، إطلاقاً.

قال لها برقة ونعومة: «آه، ربما تنظرين إلى الأمور برومنسية أكثر منه؟».

ارتشفت القهوة ثم قالت له: «إنه منتصف الليل تقريباً. هلاّ اصطحبتني إلى المنزل من فضلك؟».

لم تقل له يوماً امرأة من اللواتي خرج برفقتهنّ إن الوقت تأخر وإنها تودّ العودة إلى المنزل، بل على العكس تماماً.

ضحك البروفسور وأكّد لها أنهما سيغادران على الفور ثم وقّع على الفاتورة.

وفي طريق عودتهما، تحدثا عن الطقس وعن جمال الريف الانكليزي وعن المشاريع التي يمكن أن يقوم بها المرء خلال فصل الصيف.

كان الصمت مخيّماً على الشارع والأنوار بالكاد مضاءة. ترجّل من السيارة وفتح لها الباب قبل أن يأخذ منها مفتاح المنزل. فتح لها الباب ثم أعاد المفتاح إليها.

بحثت عن كلام لائق تقوله فما وجدت سوى الشكر: «شكراً على العشاء».

لكن ما قالته لم يبدُ لائقاً تماماً فأضافت: «استمتعت كثيراً بالعشاء والمطعم فخم جداً. سررت بهذه الأمسية الممتعة...».

لم تعجبها البسمة التي رسمها على شفتيه.

ـ لا تجهدي نفسك، جوليا. عمت مساءً.

دفعها قليلاً نحو الردهة ثم أقفل الباب خلفها.

«أكرهه».

هذا ما فكّرت فيه وهي تخلع حذاءها وترمي شالها على الأرض قبل أن تأوي إلى فراشها. أرادت أن تستلقي وتفكر في مدى كرهها له غير أنها سرعان ما غفت.

توجّه البروفسور إلى منزله الأنيق وركن سيارته في المرآب ثم دخل المنزل. وأمسك برزمة الرسائل الموضوعة على الطاولة ودخل مكتبه. وهو عبارة عن غرفة مريحة، تحيط بها رفوف الكتب ويتوسطها مكتب خشبي فخم، وُضع خلفه كرسي كبير في حين وُضع كرسيان آخران أمام المدفأة.

أمّا الطاولة فتمّ تثبيتها تحت النافذة حيث وُضع كومبيوتر ورزم أوراق.

وضع الرسائل على المكتب قبل أن يتجه إلى المطبخ ليحضر فنجان قهوة ويدلّل الكلبين الصغيرين اللذين خرجا من سلّتهما وجلسا بالقرب منه وهو يرتشف القهوة. إنهما كلبان صغيران، قوائمهما قصيرة وذيليهما طويلان ورفيعان. وجدهما البروفسور مذعورين وجائعين منذ ستة أشهر فاحتضنهما وأصبحا صديقيه المخلصين.

أعادهما إلى سلّتهما ووعدهما بنزهة في الصباح، ثم عاد إلى مكتبه ليقوم ببعض المراجعات قبل أن يخلد إلى النوم. جلس في كرسيّه وراح يتصفّح الأوراق وهو يفكّر بالأمسية التي أمضاها. ما الذي دهاه ليدعو جوليا على العشاء؟

لا شك أنها فتاة جميلة لكنّ لسانها لاذع وهي لا تقوم بأي جهد لإخفاء كرهها له. مسكين أوسكار!

ثم ابتسم البروفسور فجأة. لقد استمتعت بعشائها. وشك بأن يكون أوسكار من النوع الذي يدفع ثمن وجبة تتعدّى الحساء والبطاطا المشوية، لكنه سرعان ما انتبه. لا يحق له التفكير بهذه الطريقة فلعل

أوسكار يبحث الآن عن جوليا بدون جدوى.

عندما دخلت جوليا المطبخ لتناول فطورها في الصباح، كانت روث ومونيكا تنتظرانها على المائدة. وبدون أن تضيّعا الوقت، راحتا تسألانها السؤال تلو الآخر:

ـ هل رقصت؟ هل الفندق جميل؟ ماذا أكلت؟ هل طلب أوسكار يدك للزواج؟ هل اصطحبك إلى المنزل؟

رفعت جوليا إبريق الشاي وأجابت: «رقصت ثلاث مرات ونصف والفندق رائع».

وضعت بعض رقاقات الذرة في كوبها، ثم قالت: «لم أتناول الطعام في الفندق وأوسكار لم يعرض عليّ الزواج ولا أظنه سيفعل أبداً. وهو لم يصطحبني إلى المنزل».

ـ لم تعودي وحدك إلى المنزل؟

ـ لا، أقلّني البروفسور ڤان درمايس.

شربت الشاي ثم وضعت الخبز في الفرن.

ـ أخبرينا منذ البداية ولا تنسي شيئاً. ثم ماذا كان يفعل البروفسور هناك، فهو لا يكتب الأشعار أليس كذلك؟

ـ لا، مع أنني واثقة من أنه بارع في استخدام الابرة.

تبادلت الشقيقتان النظرات ثم سألت روث: «ولِمَ رقصت نصف رقصة؟».

ـ انزعج أوسكار لأنني لم ألازم الكرسي وأنتظره، فسألته إذا كان يودّ الزواج بي.

ـ جوليا، كيف استطعت...؟

ـ طلب منّي أن أذهب إلى الحمّام لأهدأ. لكنني غادرت، والتقيت البروفسور عند المدخل. قال إنه يشعر بالجوع وسألني إذا كنت أشعر بالمثل. وعندما رددت بالايجاب، دعاني إلى مطعم الهيلتون.

صرخت الشقيقتان في آنٍ معاً:

ـ إلى الهيلتون؟ والفستان...؟

ـ لا بأس، فقد جلسنا في مكان معزول واستمتعنا بالعشاء وعندما سألته أن يعيدني إلى المنزل، فعل ذلك.

حدّق بجوليا زوجا عيون زرقاء: «ماذا عن أوسكار؟».

ـ أصيب بصدمة.

ـ والبروفسور؟ ماذا قال؟

ـ قال إنه لم يتفاجأ بأنني وأوسكار غير مناسبين لبعضنا البعض. سيتأخر كلاكما عن العمل...

ثم سألتها روث: «ولكن لماذا دعاك البروفسور على العشاء؟».

ـ قال إنه جائع.

فقالت لها مونيكا: «أنت متعبة أحياناً، يا جوليا».

عندما ذهبت الشقيقتان، انصرفت جوليا إلى الأعمال المنزلية وبعد أن أنهتها، أعدّت فنجان قهوة وسندويشاً من الجبنة ثم جلست تكتب الأبيات الشعرية.

قد يصرفها أوسكار من وظيفتها لكنها بارعة في عملها. ولعلّ الشركاء الآخرين لن يوافقوا، لأنّ أحداً لن يرضى القيام بهذا العمل مقابل راتب زهيد مماثل.

كتبت جوليا بعض الأبيات ثم أطعمت (مافني)، هرّ العائلة قبل أن تقشر البطاطا لتحضير العشاء.

وراحت تفكر في أنّ أوسكار لن يزعجها مجدداً.

* * *

٢ ـ جوليا وحيدة . . .

قصد أوسكار منزل جوليا بعد أربعة أيام وكانت تعدّ فطيرة. وتوجّهت كالبرق إلى الباب لتفتحه فظهر أمامها أوسكار الذي قال: «أودّ التحدث إليك، جوليا».

أجابته جوليا بحدة: «أدخل إذن، إنني أحضر عجينة ولا أريدها أن تفسد».

دعته إلى المنزل وطلبت منه أن يترك معطفه في الردهة ثم عادت إلى المطبخ وغمست يديها في وعاء العجين.

ـ تفضل بالجلوس.

لكن الهرّ كان يحتلّ الكرسي بجانب الفرن فقالت له:

ـ خذ كرسياً من على المائدة. المكان دافىء هنا. على أي حال لم أشعل النار بعد في غرفة الجلوس.

وعاودت جوليا عملها، فاستاء أوسكار وقال لها: «يمكنك على الأقلّ أن تتركي هذا وتصغي لما سأقوله، جوليا».

لكنّها وضعت العجينة على اللوح المغطى بالطحين وأمسكت بالشوبك: «آسفة أوسكار ولكن لا يمكنني أن أترك عملي. أنا أصغي إليك، لا تقلق».

جلس في كرسيه وراح يقول لها:

ـ لقد فكّرت ملياً بتصرّفك المؤسف عندما رقصت. وأفترض أن

حماسك للمناسبة وفخامة المكان هما السبب وراء تصرّفك غير الاعتيادي. وبعد درس الموضوع جيداً، قرّرت أن أتغاضى عمّا جرى. . .

مدّدت جوليا العجينة فوق طبقة اللحم وسوّت الأطراف بواسطة السكين ثم قالت له متوسّلةً:

ـ إياك أن تفعل. لم أكن متحمسة إطلاقاً، إنّما شعرت بالملل وأنا جالسة على الكرسي كما أنني انزعجت لأنك تركتني أدخل بمفردي.

ـ عليّ أن أحافظ على منصبي في الشركة.

وعندما لم تجبه، سألها: «من هو ذاك الرجل الذي كنت تتكلمين معه؟ هذا غير لائق. كيف تمكنت من العودة إلى المنزل؟ هل خدمة النقل المشترك جيدة؟».

ـ تناولت العشاء معه في مطعم الهيلتون ثم اصطحبني إلى المنزل.

حاول أوسكار أن يجد ما يقوله، لكنّه عجز عن الكلام، فوقف حالاً وقال لجوليا: «ليس لدي ما أضيفه. جئت مستعداً لأن أسامحك لكنني أرى أن طيشك يفوق قدرتي على المسامحة».

غسلت جوليا يديها وراحت تنظف الطاولة. بدا لها الاصغاء إلى أوسكار أشبه بقراءة كتاب عمره مئات الأعوام، فهو لا ينتمي إلى هذا القرن. وبما أنها رقيقة القلب، أسفت لحاله.

قالت له بلطف: «أنا لا أناسبك، أوسكار».

فأجابها بفظاظة: «فعلاً، أنت لا تناسبينني جوليا فقد خدعتني. . .».

ـ لم أعرف أننا وصلنا إلى هذا الحدّ. على كل حال، ما تحتاجه ليس زوجة إنّما شخصاً تذلّه. إرحل أوسكار قبل أن أبرّحك ضرباً.

قبل أن يهمّ بالرحيل، حذّرها: «أريد أن أذكّرك بأن مستقبلك في الشركة على المحك. وتعرفين جيداً بأن لدي تأثير هناك. . .».

هذا ما توقعته منه. خرج نحو الردهة واستعاد معطفه، ففتحت له الباب لكي يخرج ثم أغلقته خلفه قبل أن يتسنّى له الوقت ليقول المزيد.

أخبرت جوليا شقيقتيها عند عودتهما إلى المنزل فقالت مونيكا: «لو تزوجته لبقي معك طيلة حياته لكنه قديم الطراز بعض الشيء».

فقالت جوليا: «لا أظنني بحاجة لشخص مثله».

ثم راحت تفكر في البروفسور ولم تدرِ البتّة لمَ فعلت هذا فهو لا يعجبها...

خلال الأيام الثلاثة، توقعت أن تصلها رسالة من شركة البطاقات وعندما استلمتها، رأت فيها شيكاً لقاء الأبيات الأخيرة التي ألّفتها، بالإضافة إلى طلب للتركيز على بطاقات الأعراس - فشهر حزيران/يونيو حافل بها، والشركة تودّ طبع البطاقات في الوقت المحدّد...

صرخت جوليا: «نجوت مؤقتاً».

ثم قبضت الشيك وسدّدت فاتورة الغاز.

من الصعب أن يتغنّى المرء بورود الصيف وسعادة الزفاف، في شهر آذار البارد. لكنها كتبت بعض الأبيات وفكّرت بجمال أن يتزوج المرء في صباح يوم صيفي مشرق، مرتدياً حلّة العرس البيضاء ومتأبطاً ذراع شريك حياته.

بعد مرور أسبوع، أتى توماس مساء ذات يوم ليبلغ خطيبته أنه حصل على الترقية وأن المستشفى يؤمن منازل صغيرة لموظفيه، فلم يبق من سبب لتأجيل زفافهما.

إن المنزل مفروش ولكنّه ضيق بعض الشيء. غير أنّ بإمكانهما الانتقال إلى مكان آخر عندما يدخّران بعض المال.

وتابع توماس حديثه: «والأفضل من هذا كلّه هو أنني أعمل مع البروفسور ڤان درمايس».

وأشرق وجه توماس وهو يفكّر بزفافه القريب: «أتمانعين أن يكون

زفافنا بسيطاً وهادئاً؟».

كانت روث لترضى الزواج به في زنزانة، مرتدية ثياباً بالية: «سنطلب من جورج أن يرتب أمور زفافنا وسيكون عرساً هادئاً. هل سيحضر والداك؟».

ذهبت جوليا إلى المطبخ لتحضّر القهوة والطعام واصطحبت مونيكا معها: «لنمنحهما بعض الوقت معاً يا مونيكا. هل تملكين مالاً؟ روث بحاجة إلى ثياب...».

جلست الشقيقتان وراحتا تقومان بالحسابات، فقالت جوليا: «ليس لدينا فواتير مستحقة، فإذا اقتصدنا واستعملنا المال المخصص للحالات الطارئة، تمكنّا من تدبّر أمرنا».

سوف يتسلّم توماس عمله الجديد في غضون ثلاثة أسابيع وهذا سبب وجيه لكي يتزوج بروث وينتقلا إلى منزلهما الجديد ويحظيا ببعض الوقت معاً. لكن هذا يعني أنّ بالكاد أمامهما الوقت لشراء الملابس والتحضير للزفاف.

أعطت جوليا ومونيكا شقيقتهما كل ما تمتلكانه من مال، ثم راحت الأخوات الثلاث يخططن ليوم العرس. لن يحضر سوى بعض المدعوين: الدكتور غودمان وزوجته، جورج والكاهن الذي سيحتفل بالزفاف بالإضافة إلى أهل توماس والوصيف.

أخرجت جوليا الأواني الصينية ثم دخلت المطبخ وراحت تتصفح كتب الطهو.

حصلت التحضيرات كلّها في استعجال. ولكن صباح يوم الزفاف، ارتدت روث فستاناً ومعطفاً أزرق اللون واعتمرت قبعة ساحرة ووضعت قفازين جميلين في يديها. أمّا جوليا فحضّرت مائدة فاخرة لما بعد الزفاف، بينما ابتاعت مونيكا أزهار النرجس لتزيّن الكنيسة التي تفتقر قليلاً إلى الجمال.

قصدت مونيكا بائع الأزهار وتركت جوليا تضع اللمسات الأخيرة على المائدة وقد استغرق ذلك وقتاً أكثر ممّا توقعت، فاضطرت للاستعجال في الذهاب إلى الكنيسة.

وصلت إلى هناك متورّدة الخدّين، وشعرها يلمع تحت قبعتها الخضراء. في الواقع إنها قبعة روث لكنها تتناسب جيداً مع سترتها وتنورتها الخضراء التي ترتديها دائماً في المناسبات السعيدة. تنشقت جوليا عطر النرجس الذكي ثم راحت تتقدم في ممشى الكنيسة تحت أنظار توماس ووصيفه وبين الأزهار التي ينثرها المدعوون من على مقاعدهم. بدا لها الممشى طويلاً جداً. وعندما بلغت منتصفه، لمحت البروفسور جالساً بالقرب من السيدة غودمان وبدا أنهما على علاقة طيبة. اجتازت مقعدهما بدون أن تلتفت إليهما. لم يكن حضور البروفسور متوقعاً لكنها افترضت أن توماس يستحق حضوره الآن بعد أن أصبح عضواً في فريق عمله.

عندما حضرت روث، ركّزت جوليا اهتمامها على الاحتفال، إلاّ أنّ صورة البروفسور لم تفارق عينيها، لا بل حجبت عن سمعها الكلمات الجميلة التي رددت في الكنيسة. لِمَ هو هنا؟ قد يتفق مع توماس في العمل لكنّ حياتهما الإجتماعية مختلفة تماماً.

تساءلت عما إذا كان للطبيب حياة اجتماعية ثم أعادت انتباهها مجدداً إلى توماس وروث وهما يتبادلان العهود.

شعرت وهي تراقبهما يسيران في الممشى أنهما سيسعدان في حياتهما، فكلاهما واثق من حبه، وتساءلت كيف يمكن للمرء أن يكون واثقاً إلى هذا الحدّ.

بعد أن التقطت بعض الصور، سبقت جوليا الجميع إلى المنزل لتتأكد من أن كل شيء على ما يرام.

كانت تضع اللحم في الفرن عندما وصلت روث وتوماس

والمدعوون الآخرون.

دخل الوصيف المطبخ بحثاً عن أكواب وقال: «سنحتاجها، فالبروفسور أحضر العصير معه، وهذا ما أسمّيه هدية زفاف مناسبة. هل يمكنني أن أساعدك؟».

ـ قدّم الشراب للجميع ريثما أنتهي من تسخين اللحم.

بعد أن رحل توماس وروث والمدعوون، أدركت أنّ البرفسور رحل أيضاً، مصطحباً معه الوصيف.

وعندما جلست ومونيكا حول مائدة المطبخ. قالت لها مونيكا: «سألني أن أودّعك واصطحب الوصيف معه وقال إن وقته ضيق جداً».

وتساءلت جوليا كيف حظي الوصيف بالوقت ليودّعها. فإن ذهب برفقة البروفسور، لتمكّن هذا الأخير من توديعها أيضاً.

وقررت أن تفكر في الموضوع ما إن يصفى ذهنها قليلاً.

تمكنت جوليا ومونيكا من تدبّر أمورهما بعد أن غادرت روث، إلى أن دخلت مونيكا المنزل بعد أسابيع، كالإعصار، وهي تنادي جوليا لتسمع الأخبار التي تحملها.

قالت مونيكا لشقيقتها وهي تكاد تطير فرحاً: «وجد جورج رعية في قرية ريفية تبعد قليلاً عن هنا. سيقصدها هذا الأسبوع ليرى ما إذا كانت تعجبه».

ـ وإذا اعجبته؟

ـ سيرحل في غضون أسبوعين وسأرافقه طبعاً. يمكننا أن نتزوج أولاً.

وراحت مونيكا ترقص فرحاً في أرجاء الغرفة: «آه، جوليا، أليس الأمر رائعاً؟ أنا سعيدة للغاية...».

ثم سألت مونيكا شقيقتها بقلق ظاهر:

ـ ماذا عنك يا جوليا؟ ماذا ستفعلين؟ لن تتمكني من تدبّر...

لكنّ ردّ جوليا كان جاهزاً، فقالت مبتسمةً: «سأؤجر الغرف إلى أن نقرر ما سنفعله بهذا المنزل، فأنت وروث ترغبان ببيعه وأظنها فكرة سديدة».

لكنّ مونيكا أصرّت: «وأنت؟».

ـ سأتابع دروساً في تصميم الأزياء ثم أستقرّ بمفردي.

ـ ألا تظنين أن أوسكار سيعود؟ إذا أحبّك حقاً...؟

ـ لكنه لم يحبني ولست مستعدة للذهاب إليه.

ـ لكنك ستتزوجين...؟

ـ أظن ذلك. كم سيفرح زوجي العتيد بامرأة تصنع ثيابها بنفسها!

ثم سألت مونيكا: «والآن، أطلعيني على مخططاتك...».

أصغت جوليا إلى حديث شقيقتها المتحمّس، معلّقة تارة، مقترحةً طوراً ورافضة أن يتسلّل الخوف إلى قلبها. وراحت تقنع نفسها أنّ لديها سقف يحميها وأنها قادرة على تنظيم حياتها، كما لن تكون وحيدة بوجود المستأجرين والهرّ... ثم سألت جوليا: «ستتزوجين هنا؟».

ـ نعم، ولكن الزفاف سيكون بسيطاً وسنذهب إلى الرعية مباشرة بعد الاحتفال. لن يحضر سوى نحن وروث وتوماس إذا تمكّن من المجيء.

ثم ضحكت مونيكا وأضافت: «لن يكون هناك مأدبة بعد الزفاف. لطالما أردت حفلة ضخمة، أردت أن أرتدي الثوب الأبيض والطرحة، وأن ترافقني الوصيفات، ولكن لن يحصل أي من هذا كلّه، فنحن سنتزوج في الصباح الباكر».

أشرق وجه مونيكا فرحاً وسألتها جوليا: «ألست منشوقة لرؤية الرعية؟ والبلدة؟ ستكونين زوجة كاهن رائعة».

ـ نعم، أظن ذلك.

وسألتها مونيكا: «أواثقة أنت من أنك ستكونين بخير؟ فلطالما كنّا

نحن الثلاثة معاً...».

ـ بالطبع، سأكون بخير. تصوّري كم سيكون الأمر رائعاً عندما أتمكن من زيارتك. ما إن أتدبّر أموري، سأشتري سيارة...

يا له من حلم يقظة! لكنه هدّأ مونيكا قليلاً.

بعد ذلك، تسارعت الأحداث. فقد أعجب جورج برعيته الجديدة كما أعجب المسؤولين الذين التقاهم.

كان بيت الكاهن كبيراً وقديم الطراز إلاّ أن حديقته جميلة.

وتوجّب على جورج استلام شؤون رعيته في غضون أسبوعين، لذا، بالكاد تسنّى له الوقت لترتيب زفافه بمونيكا، الذي اتصف بالبساطة والهدوء. فقد تزوجا في الصباح الباكر وتوجها مباشرة إلى منزلهما الجديد.

انشغلت جوليا بتوضيب حقائب مونيكا، فلم يتسنّ لها الوقت لتفكّر بأي أمر آخر. لكنها ارتاحت عندما استأجرت الفتاة التي استلمت عمل مونيكا غرفة في منزلها.

بدت (ترودي) شابة لطيفة، هادئة ومجتهدة. وقد سُرّت جوليا بوجود شخص في المنزل وبالحصول على الإيجار أيضاً...

فكّرت جوليا أنّ عليها إيجاد مستأجر آخر، فلو استطاعت ذلك لتمكنت من تدبّر أمورها إلى جانب ما تجنيه من بطاقات المعايدة. وأدركت أن روث ومونيكا سترغبان يوماً ما ببيع المنزل، فتبدأ عندئذٍ بالعمل مستخدمة حصتها.

عادت جوليا إلى المنزل الفارغ لتتفقد الغرفة التي ستنتقل إليها ترودي في الصباح التالي، وتتأكد من ترتيبها ونظافتها. وقررت أن تذهب لزيارة روث ما إن تجد مستأجراً آخر وتسير الأمور على ما يرام.

مرّ أسبوع على الإعلان الذي نشرته في الصحيفة ولم يتقدم أحد لاستئجار الغرفة. فقررت أن تنشره مجدداً بعد أسبوع وتعلّق بعض

اللافتات على أبواب المتاجر. أمّا في الواقت الراهن، فعليها أن تبذل جهداً إضافياً في مجال بطاقات المعايدة.

استقرّت ترودي في المنزل مع جوليا التي زوّدتها بمفتاح لكي تتمكن من الدخول والخروج ساعة تشاء. وفكّرت جوليا أنّ مستأجراً آخر سيفيدها كثيراً.

انحنت عند عتبة الباب لإحضار البريد، وفتحت المغلف الذي وصلها من شركة البطاقات، فوجدت داخله شيكاً ورسالة تبلّغها أن الشركة غيّرت سياستها وسوف تعتمد في المستقبل القريب على البطاقات الطريفة، فهذا ما يطلبه السوق. وبالتالي تتأسف الشركة لعدم تمكنها من التعامل معها من الآن فصاعداً. وإذا كان لديها أشعار جاهزة ستقبل بها ولكنّها لن تقبل المزيد. وعاودت جوليا قراءة الرسالة لكي تتأكد من محتواها ثم دخلت المطبخ وأعدت كوباً من الشاي وراحت تحتسيه بهدوء.

كان هذا الخبر بمثابة صفعة لها. صحيح أن المبلغ الذي تدفعه الشركة لها زهيد جداً لكنه مدخول ثابت وستشعر الآن بأزمة فقدانه. راحت تجري بعض الحسابات على المغلّف ثم شعرت ببوادر صداع مؤلم. قد يكون أوسكار من دبّر هذا كلّه...

قرأت الرسالة مرة أخرى وارتاحت لفكرة قبولهم مجموعة أخيرة من الأشعار فانكبت على قلمها وأطلقت العنان لمخيلتها وأفكارها. وبعد أن طبعت مؤلفاتها هذه وضعتها في البريد. تمنّت لو تمزّق الرسالة وتعيدها إليهم، ولكن لا ضير من الحصول على شيك آخر. حصلت جوليا على المبلغ بعد أيام قليلة، إنّما لم يظهر أي مستأجر بعد. ولكن صدق المثل القائل: لا تكره شيئاً لعلّه خير لك...

اتصل توماس ليقول لها إنّ روث مصابة بالزكام وهي تلازم الفراش، وطلب منها أن تأتي للمساعدة ساعة أو ساعتين يومياً، ريثما

تستعيد روث قواها وأضاف أن النقل مؤمن بالحافلة.

عليها أن تستقلّ حافلتين لتصل إلى هناك. ألقت جوليا نظرة على الساعة ثم قالت لتوماس: «سأكون هناك عند الظهر. عليّ أن أبلغ ترودي أنني لن أعود قبل المساء».

ـ باركك الله. سأوافيكما عند الخامسة.

وعدت ترودي جوليا بأن تهتم بالهرّ وتتأكد عند عودتها للغداء بأن كل شيء على ما يرام، وهي لن تخرج هذا المساء على أي حال.

أسرعت جوليا إلى الشارع الرئيسي واستقلت حافلة.

يقع المنزل بالقرب من المستشفى، وهو واحد من بين العديد من المنازل المرتبة المخصصة لموظفي القسم الطبي. قال لها توماس إن المفتاح تحت حوض الأزهار فدخلت المنزل ونادت روث.

وضعت جوليا حقيبة يدها في الردهة الضيقة ثم صعدت السلالم، بحثاً عن روث، فوجدتها مستلقية في السرير، محمرّة الأنف، منتفخة العينين:

ـ جوليا، عزيزتي. ألا تمانعين في المجيء؟ أشعر بالوهن وتوماس مشغول طيلة النهار. غداً تتحسن حالي و...

أجابتها جوليا: «ستلازمين فراشك إلى أن يسمح لك توماس بالنهوض. ثم أنا لا أمانع المجيء. في الواقع، سأموّه عن نفسي قليلاً. والآن ما رأيك لو تغتسلين قبل أن نتناول شيئاً ما؟».

بدت روث لاحقاً بحال أفضل، وهي تتناول الشاي في سريرها المريح، وقد سرّحت شعرها الذهبي. قالت لجوليا التي بدت جميلة جداً: «آمل ألاّ تلتقطي العدوى».

وسألتها جوليا: «هل زارك الطبيب؟».

ـ نعم، أتى الدكتور (سوفر) برفقة أحد الممرضين. أحدهم قادم مع الدواء...

أحضر توماس الدواء خلال استراحة الغداء، وشرب فنجان قهوة وتناول سندويشاً على عجلة، لأن البروفسور يجري عملية. لكنه بقي قدر استطاعته مع روث ثم شكر جوليا بحرارة وأكدّ لها أنه سيعود عند الخامسة.

ـ أتريدني أن آتي لبضعة أيام ريثما تشعر روث بتحسّن؟

ـ أيمكنك ذلك؟ أكره أن أتركها بمفردها.

عاد توماس إلى عمله وتوجّهت جوليا إلى المطبخ لتعدّ كوب شاي آخر لروث وتسلق البيض. غداً، ستحضر معها بعض الفاكهة والخبز، فالزبدة والخبز طعام المرضى.

شارفت الساعة على السادسة عندما عاد توماس برفقة البروفسور. أمضى هذا الأخير بضع دقائق مع روث وأكّد لتوماس أن زوجته بحال أفضل، ثم دخل المطبخ حيث كانت جوليا تحضّر الطعام، فقال لها: «أحضري معطفك، سأقلّك إلى المنزل».

ـ شكراً، لكنني سأستقلّ الحافلة عندما أصبح جاهزة.

وفكّرت جوليا في أنه لم يكلّف نفسه عناء القاء التحية عليها.

ابتسم البروفسور ساخراً: «توماس هنا الآن. ثم أنّ شخصين يشكّلان رفقة جيدة، أمّا ثلاثة فلا».

ـ عليّ تحضير العشاء لتوماس.

دخل توماس المطبخ قائلاً: «أنا طاهٍ من الدرجة الأولى وسأحضّر الطعام لزوجتي. إذهبي أنت يا جوليا. لقد أرسلك الله ونحن ممتنون لك. هل ستأتين غداً؟».

وافقت جوليا، من دون أن تنظر إلى أيّ من الرجلين ثم أحضرت معطفها، وودّعت شقيقتها. عادت مجدداً، لتجدهما ينتظرانها في الردهة.

فتح البروفسور الباب فخرجت إلى الشارع، ورافقهما توماس وهو

يبتسم لهما.

لم يجد البروفسور ما يقوله، فجلس وراء المقود، وعلى الرغم من انزعاجه من زحمة السير، لم تظهر على وجهه أيّ ملامح تذمّر. وشعرت جوليا بالخجل من نفسها عندما رأت الارصفة والحافلات مكتظة بالناس، فقالت له: «لطف منك أن تصطحبني إلى المنزل لأن ذلك كان ليستغرق ساعات بالحافلة».

فأجابها بهدوء تام: «أنا متوجه إلى هناك في الأساس، إذ عليّ المرور بمستشفى الأطفال وهو يبعد بالكاد خمس دقائق عن منزلك».

ردعت هذه الملاحظة جوليا عن متابعة حديثها. ولم يتفوه البروفسور بكلمة إلى أن وصل إلى منزلها. فتح لها باب السيارة ثم انتظر إلى أن وصلت إلى باب منزلها قبل أن يقول لها: «قلت لك إنني لن أتسبب لك بالمتاعب. عمت مساءً جوليا».

وقفت عند الباب وانتظرت رحيله لتقول لنفسها، وكأنها تكلم ذاك الشارع المقفر: إنها المرة الأخيرة التي أقبل فيها مرافقتك. لست أفهم لِمَ كلفت نفسك عناء ذلك. ولكنني أظن أن وجود توماس لم يترك أمامك خياراً آخر.

وأغلقت الباب بعنف مضيفة: «يا لك من رجل».

لكنها شعرت بحزن يغمر كيانها، فهي واثقة من أنه ليس كما تدّعي. ولكن عندما يتعلق الأمر بها...

تناولت جوليا عشاءها وأطعمت (مافن) ثم توجهت إلى غرفة ترودي لتخبرها أنها ستغيب في الأيام التالية للعناية بروث: «ألم يتصل أحد بشأن الغرفة؟».

ـ لا أحد إطلاقاً.

ـ على الأرجح، سيتصلون في اليومين المقبلين.

لكنّ أحداً لم يفعل.

أمضت جوليا الأيام التالية ذهاباً وإياباً فيما تحسّنت حال روث تدريجياً. أمّا البروفسور فلم تره بالرغم من أنّ شقيقتها أخبرتها أنه زارها مرّات عدة. وكذلك فعل الدكتور سوفر الذي أخبرها أنها باتت أفضل حالاً.

قالت روث: «لكنني أبدو عجوزاً».

فأجابتها جوليا: «عجوز فاتنة، وغداً ستغادرين فراشك قليلاً».

أشرق وجه روث وقالت: «سيحضّر لنا توماس العشاء، فنتناوله أمام المدفأة، وسيحضر جيرارد».

ـ جيرارد؟

ـ البروفسور، لا يمكنني أن استمر بمناداته هكذا، وإن كان يبدو رصيناً وبارداً. لكنه ليس كذلك وهو لا يزال في السادسة والثلاثين من عمره. يجدر به أن يتزوج لكنه لا يهتم للنساء، أقلّه ليس ليتزوج بهنّ. على أي حال لديه العديد من الصديقات لكنهنّ لسن أكثر من ذلك.

ـ أنت تفاجئينني...

نظرت روث إلى شقيقتها نظرة تأمل وقالت لها: «ألا يعجبك؟».

ـ لا أعرفه جيداً لكيّ أميّز مشاعري نحوه.

ـ أشعر الآن بتحسّن كبير وأظن أنّ بإمكاني تدبّر أموري. أشكرك على قدومك يومياً ولكن أفترض أنك اشتقت إلى المنزل.

ـ ليس لديّ ما أقوم به في المنزل. ترودي تهتم بنفسها وبالهرّ. وستكون فكرة جيدة لو احتملتني يومين إضافيين.

ـ آه، عزيزتي هل ستأتين حقاً؟ أشعر بتحسّن ولكن ليس تماماً...

ـ طبعاً سآتي وسنرى كيف ستصبحين بعد يومين؟

بعد انقضاء هذه الفترة، رأت جوليا أنّ روث لم تعد بحاجة لمساعدتها. لقد استمتعت برفقة شقيقتها ولكن الآن وقد تعافت، آثرت جوليا أن تترك روث وتوماس بمفردهما.

فما إن وصلت في الصباح التالي حتى أخبرت روث فجأة: «هذا يومي الأخير، ما عدتِ بحاجة إليّ...».

كانت روث جالسة إلى طاولة المطبخ، تفرم الخضار، فنظرت إلى جوليا وضحكت: «بلى، ما زلت أحتاجك. إجلسي لأخبرك».

ـ أتريدينني أن أخيط لك ستائر للحمّام؟

ـ ستائر! لا. إنما يقول الدكتور سوفر إنني بحاجة إلى عطلة وتوماس يوافقه الرأي، ويريدك أن ترافقينني. سنذهب معاً فليس لديك مستأجر آخر وبإمكان ترودي أن تهتمّ بمافن.

ـ ستذهبين إلى منزل مونيكا؟ من الجيد أن تبتعدي قليلاً عن البيت وعن هذا الشارع المضجر. طبعاً سأرافقك.

ـ حقاً؟ لا مانع لديك؟ لن يدعني توماس أذهب بمفردي...

ثم أضافت بسرعة: «لن نذهب إلى منزل مونيكا إنما إلى هولندا».

وقبل أن تتمكن جوليا من التفوّه بأي كلمة، تابعت روث حديثها:

ـ يملك جيرارد منزلاً صغيراً على ضفة إحدى البحيرات. ما من أحد هناك باستثناء مدبرة المنزل. يقول إنّ المكان هادىء جداً وإن الريف جميل وهو تماماً ما أحتاجه. يريدني توماس أن أذهب وسيقودنا إلى هناك بنفسه.

ـ لن يكون هناك أحد؟ نحن فقط؟

ـ نعم، أنتِ وأنا. سيبقى توماس معنا ليلةً واحدة ثم يعود ليصطحبنا بعد أسبوع أو اثنين. لا تقولي لي إنك تعيدين النظر في الموضوع؟

هذا تماماً ما كانت جوليا تفعله. لكن نظرة واحدة إلى وجه شقيقتها الشاحب بدّدت تلك الأفكار من رأسها، إذ بدت بحاجة للابتعاد قليلاً عن لندن ولعلّ اسبوعاً في الريف يفيدها. فقالت جوليا: «بالطبع سأذهب. سأحزم أمتعتي بمساعدة ترودي. متى يُفترض بنا أن

نتطلق؟».

ـ حسناً، بعد ثلاثة أيام. لن نحتاج إلى الكثير من الأمتعة. لن تحتاجي سوى إلى حقيبة صغيرة ولديّ ما يكفي من المال لكلينا.

ـ أنا أيضاً لدي الكثير من المال.

قالت جوليا ذلك باقتناع وكادت تصدّقه فعلاً.

ـ حقاً؟ أفترض أن وقتك يسمح لك الآن بالعمل لحساب شركة البطاقات بالإضافة إلى بدل الإيجار الذي تتلقينه من ترودي...

... الذي تصرفه قبل أن تضعه في حقيبتها. ولكن يجب ألاّ تعرف روث بهذا الأمر، وهي لا تنوي إخبار أحد بموضوع صرفها من العمل. وراحت جوليا تعلّل نفسها بأنها ستجد مستأجراً آخر عمّا قريب، بالإضافة إلى عمل بدوام جزئي. أمّا في الوقت الحاضر فستحاول الاستمتاع بعطلتها.

لكنّ فكرة أن البروفسور هو من دبّر لها هذه العطلة اعتملت في صدرها وهي في طريقها إلى المنزل، فلسبب من الأسباب لم ترغب بأن تكون مدينة له.

وشعرت بتحسّن كبير عندما استنتجت أنه يجهل أمر مرافقتها لروث وأنه لم يدخل في التفاصيل إنّما قدّم منزله وحسب. إلاّ أن البروفسور يعلم جيداً أنها سترافق روث فهو من اقترح الفكرة. لم يعرف تماماً لما اقترح هذا لكنّه يعتقد أنه يريد أن تشعر بأنها مدينة له.

إنه رجل منطوٍ على نفسه بطبيعته وقد كوّن فكرة خاطئة عن النساء بسبب علاقة حب فاشلة. ولكنّ في حياته بعض الاستثناءات، عائلته، مديرة منزله المخلصة، مربيته العجوز والممرضات اللواتي يعملن معه بالإضافة إلى زوجات أصدقائه القدامى. وقد أضاف الآن إلى لائحته روث، فهي مولعة حقاً بتوماس ومختلفة تماماً عن أختها ذات اللسان اللاذع...

وبالرغم من هذا كلّه، ثمة أمر يتعلق بجوليا...

* * *

قالت روث إنّ ما من حاجة لحمل أمتعة كثيرة.

تفحصت جوليا خزائنها ووجدت سترة بنية، قديمة لدرجة أنها أصبحت على الموضة مجدداً... وأخذت تنورة مناسبة لها بالإضافة إلى فستان وبعض القمصان. وبما أنهما تقصدان الريف، افترضت جوليا أنها ستتنزه وشقيقتها فوضعت في حقيبتها حذاء مريحاً بالإضافة إلى شال وعباءة نوم... ثم راحت تعدّ مالها. لم يستغرق ذلك سوى لحظات فلم يكن معها سوى بدل الإيجار الأسبوعي الذي أعطتها إيّاه ترودي، وعند عودتها ستحظى بقسط آخر. وستبحث عن مستأجر آخر مثل ترودي.

ترودي فتاة هادئة وطيبة، تدخر المال لكي تتزوج، كما أنها جديرة بالثقة. وقد وافقت بكل سرور على أن تهتم بمافن وتتأكد من أنّ المنزل مقفل جيداً في الليل.

ـ استمتعي بعطلتك، فعندما تعودين، لن تجدي وقتاً لنفسك لكثرة المستأجرين.

إلاّ أن جوليا لم تفرح كثيراً بتفاؤل ترودي كما توقعت هذه الأخيرة. وبعد ثلاثة أيام، أتى توماس وروث لاصطحابها، وسلكوا الطريق البحرية التي يمكنها أن توصلهم بسرعة. وأمضت جوليا معظم وقتها في تفحّص الخريطة المفصّلة التي زوّدهم بها البروفسور.

يقع منزل البروفسور في مكان ما جنوبي أمستردام، على مقربة من هليڤرسوم. وعلى المرء أن يمرّ بعدد من البحيرات والبلدات الصغيرة قبل أن يبلغ بلدة أوترشت.

التفتت روث إلى الخلف وقالت لشقيقتها: «إنها منطقة ريفية حقاً، يا جوليا. يقول جيرارد إننا لسنا بحاجة لاجتياز أي بلدة إلاّ إذا رغبنا

بذلك. فبالرغم من صغر البلاد تغلب عليها المناطق الريفية مع بعض البلدات الصغيرة».

لم تبدُ المنطقة ريفية جداً، فالبلدات الصغيرة تتتابع الواحدة تلو الأخرى. لكن توماس سلك طريقاً فرعية فرأت جوليا هولندا كما لطالما تصوّرتها.

سهول شاسعة وقرى تحيط بكنائس كبيرة ومزارع وحظائر ومروج ترعى الأبقار فيها.

وكلّما توغّلت السيارة في البلاد، كلما بدت المنطقة نائية أكثر فأكثر...

إن الأرض منبسطة تماماً، تنمو فيها الاشجار وتجري الماء في سواقيها.

راحت جوليا تنظر حولها باندهاش ومتعة. قد يكون هناك بلدات كبيرة وطرقات عامة، إلاّ أن سلاماً وسكينةً غريبين يلفّان المكان بأسره.

أمّا روث، فصمتت مندهشة بعد أن كانت تتكلم بحماسة. وقال توماس:

ـ أترون قبة الكنيسة خلف تلك الأشجار؟ ما لم أخطىء في قراءة الخريطة، أظن أننا وصلنا...

* * *

٣ ـ حلم قصير العمر

عندما وصلوا إلى الأشجار، انعطف توماس ليسلك ممراً ضيقاً بينها، ينتهي إلى مجموعة من المنازل تحيط بكنيسة صغيرة. قد يكون المنزل أيّاً من هذه المنازل فكلّها مخصص للعطل. بعضها أكبر من غيره، وهي مطلية جيداً وتلمع نظافة وإشراقاً. إلاّ أنّ توماس دار حول الكنيسة ليسلك ممرّاً آخر أبعدهم عن الطريق.

ـ آمل ألاّ أكون مخطئاً. قال البروفسور إنه من السهل إيجاد منزله فهو يقع على مقربة من الكنيسة، عند الجهة اليمنى...

مرّت للحظات صمت قليلة ثم صرخ الجميع في آنٍ معاً: «ها هو!».

إنه منزل شبيه بالمنازل الأخرى، إلاّ أنه أكبر حجماً، وبوابته العريضة تسمح بدخول السيارة.

قرميده أحمر وجدرانه بيضاء، تحيط ببابه نوافذ صغيرة. وبدا وكأنه يعوم في بحر من الأزهار الخلاّبة والعشب الأخضر النضر.

وقفت جوليا بجانب السيارة وراحت تدور على نفسها لكي تتمكن من استيعاب المنظر كله.

توقعت أن يكون منزل البروفسور جميلاً ولائقاً، يعكس شخصيته. وعندما تأملته، بدا لها مريحاً وحميماً.

حاولت أن تتخيّله ببزته الرمادية وهو يتهادى بمشيته الواثقة.

www.elromancia.com

وفُتح الباب الأمامي وظهرت سيدة بدينة وقصيرة القامة، فتقدمت لملاقاتهم قائلة:

ـ ها قد وصلتم أخيراً، تفضلوا بالدخول. لا بدّ أنكم ترغبون بفنجان شاي مع بعض الكعك الذي أعددته بنفسي.

صافحتهم جميعاً وابتسمت لهم قائلة:

ـ أنا السيدة بيكيت، مدبرة المنزل. تشرّفت باستقبالكم إنّ طقس اليوم جميل وآمل أن يبقى كذلك خلال إقامتكم هنا. فبعض النسيم العليل والشمس الدافئة سيعيدان إليك عافيتك، سيدة سكوت.

دعتهم للدخول بينما تابعت حديثها:

ـ تصّرفوا وكأنكم في منزلكم ريثما أحضر الشاي، ومن ثم يمكنكم أن تروا الغرف. يؤسفني ألاّ يتمكن السيد سكوت من المكوث مدة أطول ولكن يبدو أنه دائم الانشغال، تماماً مثل السيد جيرارد. فهو يمرّ لرؤيتي عندما تسمح له الظروف، باركه الله لأنه طيب جداً معي.

تنهدت السيدة بيكيت وأكملت: «الشاي!».

ثم خرجت من الغرفة. ساعد توماس زوجته على الجلوس على أريكة صغيرة ثم اتجه نحو النافذة ليتأمل المناظر الخلاّبة الممتدة أمام عينيه. قالت روث:

ـ أليس المكان رائعاً حبيبي؟ سيعجبني كثيراً إلاّ أنني سأشتاق إليك.

اقترب توماس من زوجته ليجلس قربها بينما راحت جوليا تتجول في أرجاء الغرفة. سقفها منخفض وأرضها خشبية، تزيّنها بعض السجادات، ويحيط أثاثها المريح بمدفأة كبيرة. أمّا المكتبة الضخمة فتعجّ بالكتب.

تنهّدت جوليا تنهيدة رضا ثم استدارت عندما دخلت السيدة بيكيت حاملة الشاي الساخن.

رافقتهم السيدة بيكيت في جولة في المنزل، فدخلوا المطبخ أولاً حيث وُضعت طاولة خشبية مستديرة وخزانة قديمة الطراز، مليئة بالأطباق، وكرسيان صغيران، جلس عليهما هرّان.

قالت السيدة بيكيت:

ـ أعرّفكم على بورتلي ولوفتي اللذين يؤنسان وحدتي. أحضرهما السيد جيرارد منذ سنوات. كانا لا يزالان صغيرين عندما وجدهما.

تابعوا جولتهم في أرجاء المنزل برفقة السيدة بيكيت: «هذا مكتب السيد جيرارد، وهذه غرفة الجلوس...».

يضّم الطابق العلوي غرف نوم عدّة بالإضافة إلى حمّامين فخمين. بعد ذلك، تجوّلوا في الحديقة لبعض الوقت، ثم توجهت جوليا إلى غرفتها متحججة بأنها لم تفرغ حقائبها بعد. ولكنها، في الواقع أرادت أن تترك توماس وروث بمفردهما.

عند المساء، تناولوا عشاءً لذيذاً من الهليون واللحم والجزر والبطاطا، ثم قدّمت لهم السيدة بيكيت تحلية بالكراميل. وعندما انتهوا، اعتذرت جوليا عن مرافقة شقيقتها وزوجها في نزهتهما المسائية لأنها متعبة، مع أنها لم تكن كذلك. وغطت في سبات عميق لتستيقظ باكراً في الصباح التالي وتتأمل غرفتها بإمعان.

لم تكن الغرفة واسعة جداً ولكن من ابتاع اثاثها، يتمتع بذوق رفيع. ضمت الغرفة سريراً خشبياً يغطيه شرشف مزركش وخزانة صغيرة وضعت تحت النافذة بالإضافة إلى كرسي وطاولة تزيّنها مزهرية.

وبدا لجوليا أنها تعيش في عالم الأساطير.

نهضت من سريرها وانحنت على النافذة، إلاّ أن صوت السيدة بيكيت يدعوها للعودة إلى الفراش خشية التعرّض للفحة هواء، أعادها إلى السرير حيث احتست الشاي الذي قدّمته لها مدبرة المنزل.

ـ سيجهز الفطور بعد نصف ساعة، إنني أحضر البيض المقلي.

أظن أن السيدة سكوت بحاجة للغذاء.

ثم نظرت إلى جسم جوليا الرائع وأضافت: «على المرأة أن تبدو امرأة».

وفيما هي تدهن الزبدة على قطعة التوست الثالثة، راحت جوليا تفكر في أنها ستسمن ولكنها لا تهتم لذلك كثيراً. لو كانت متزوجة بشخص مثل توماس لاتبعت حمية لأن الرجال، استناداً إلى إعلان تلفزيوني، يحبون الفتيات النحيفات...

ذهبت جوليا إلى البلدة لشراء بطاقات بريدية ولم تعد إلاّ عند الغداء. وكان توماس على وشك الرحيل فراحت روث تذكره بتغيير جواربه وبضبط ساعة المطبخ وأمور أخرى...

فقال لها توماس: «سأعود بعد أسبوع فقط، حبيبتي».

بعد رحيله، أرسلتهما السيدة بيكيت إلى البلدة مرة أخرى لشراء الخبز والكعك المحلّى. وتناولت جوليا قطعة خبز من هنا وكعكة من هناك، فقالت لها روث: «سيزداد وزنك».

ـ ومن يأبه؟

وتحركت في داخلها رغبة قوية بأن يأبه أحد لها. شخص كالبروفسور، يهتم لأمرها ويردعها عن تناول الأطعمة الدسمة.

ما من سبب يدعوها للتفكير فيه. ربما لأنها في منزله وتعجز عن انتزاع هذه الفكرة من رأسها. وراحت تذكّر نفسها بأنها لا تحبه.

قررت جوليا والسيدة بيكيت مساعدة روث على استعادة عافيتها كاملةً. وبعد بضعة أيام من الطعام الشهي والنزهات في الحقول المجاورة والسبات العميق أصبحت روث على ما يرام وتوردت وجنتاها والتمعت عيناها مجدداً. وعلى الرغم من شوقها الكبير لتوماس، وافقت على اقتراحات جوليا كلّها للقيام بأي مشروع تراه مناسباً.

في صباح جميل، استيقظت جوليا باكراً وراحت تفكر بأن أربعة أو خمسة أيام تفصلها عن العودة إلى المنزل، ولكنها لن تفسد نهارها بالتفكير بهذا الموضوع. ارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق السفلي، فوجدت البروفسور جالساً أمام الباب. بدا مختلفاً جداً بسرواله القديم وقميصه الضيق وكأنّ سنوات من عمره قد انمحت.

قال لها مبتسماً: «مرحباً، جوليا».

وقفت تحدّق فيه لبرهة قبل أن تقول: «كيف وصلت إلى هنا؟ الوقت مبكر جداً».

وراودتها فكرة مفاجئة فأضافت بسرعة: «هل توماس مريض؟ هل من خطب؟».

ـ تطرحين أسئلة كثيرة ولم تلقِ عليّ التحية بعد. توماس بأفضل حال وكل شيء على ما يرام. أتيت فقط لأطمئنّ عليكما.

ـ تطمئن؟ نحن سعيدتان جداً هنا! كيف أتيت إلى هنا؟

ـ بالطائرة.

ـ بالطائرة؟ ولكن كيف؟ هل تحلق الطائرات باكراً؟

ـ لدي طائرتي الخاصة.

ـ طائرتك الخاصة؟

ـ أنت تكررين كل ما أقوله، جوليا.

ـ نعم ولكنني تفاجأت. هل ستبقى هنا؟

ـ لا تقلقي، لساعة أو اثنتين، ليس أكثر.

ـ من ثم تعود؟ أتعني أنك أتيت لساعة فقط؟

ابتسم البروفسور لها بينما تابعت جوليا حديثها: «عندما وصلنا إلى هنا، تفاجأت كثيراً لأن المنزل لم يبدُ مناسباً لشخصيتك. ولكن الآن، وقد ارتديت ثياباً رياضية، بدّلت رأيي، إذ لا يسعني أن أتخيّلك بالبزة الرسمية والأزرار الذهبية في هذا المكان...».

ـ تجعلينني أشعر وكأنني عجوز.

ـ آه، لا. قالت لي روث إنك في السادسة والثلاثين من العمر، ولكنك منطوٍ على نفسك وغير مبالٍ...

توقفت عن الكلام لتنظر إليه. ابتسم لها مجدداً، فقالت: «سأخبر روث أنك هنا».

دخلت المنزل وصعدت السلالم بسرعة. شعرت بوجنتيها تلتهبان وتساءلت عمّا أصابها لتكلّمه بهذه الطريقة. ربما لأنه بدا مختلفاً ولكن لم يتغيّر فيه سوى ثيابه. فهو لا يزال رجلاً تبغضه وستخترع سبباً ما لتذهب إلى البلدة بعد الفطور ولن تعود قبل رحيله.

عندما أنهت فطورها، أعلنت عن نيتها بالتنزه، فتمنى لها البروفسور نزهة موفقة، بينما قالت لها روث: «أحضري المزيد من البطاقات إذا قصدت السوق».

أمّا السيدة بيكيت فقالت لها: «يستحسن أن تودّعي السيّد جيرارد الآن لأنه سيغادر قبل عودتك».

ودّعت جوليا البروفسور الذي فتح لها الباب وتصرّف بلباقة اعتبرتها مزيّفة.

ـ إلى اللقاء، جوليا.

أمضت وقتاً طويلاً في البلدة، تبتاع أشياء لا تحتاجها وتتنزه في الحديقة العامة، آملة أن يرحل قبل عودتها.

ورحل. قالت روث: «لطف منه أن يأتي ويطمئن علينا. وهو الآن يرتّب الامور كي يمضي توماس ليلة هنا قبل عودتنا في الاسبوع المقبل. أحبّ أن أبقى هنا ولكنني أفتقد توماس كثيراً...».

ونظرت روث إلى شقيقتها قبل أن تسألها: «ألم تشعري بالضجر؟ لم نذهب إلى أي مكان، ولم نفعل أيّ شيء، ولم نلتقِ أحداً...».

ـ بل أحببت كل لحظة، بغض النظر عن هذا الصباح.

يبدو أن البروفسور ليس لديه أي نية في التودّد إليها، وقد أغضبها الأمر وشعرت بالبغض تجاهه، إلاّ أنها استمتعت بالحديث معه هذا الصباح.

ازدادت حرارة الطقس، فطاب لجوليا أن تجلس في الحديقة وتراقب نمو النباتات وودّت لو تقطف الثمار وتقتلع الجزر والفجل بيديها، ولكن البستاني لن يسمح لها بذلك.

تلقت روث مخابرة من توماس، أخبرها خلالها أن البروفسور وصل وتوجه مباشرة إلى عيادته. لم تعلّق جوليا على الموضوع ولكنها ذهلت بنشاطه.

مرّ الأسبوع بسرعة فائقة. سيأتي توماس صباح السبت لينطلقوا بعد الفطور مباشرة.

وبينما كانت جوليا تحزم أمتعتها، راحت تنظر إلى الغرفة بأسف شديد. سوف تفتقد راحة وهدوء هذا المنزل وسوف تشتاق لرفقة السيدة بيكيت، فهي امرأة سعيدة وتتمنى السعادة لمن حولها.

وبدا لجوليا أن المرء يمكنه أن يأتمنها على أسراره.

في الواقع، أفصحت لها جوليا عن آمالها ومخططاتها وأظهرت لها خوفها من المستقبل. فأصغت إليها السيدة بيكيت بإمعان وأسدتها بعض النصائح. وراحت تفكّر في أن جوليا والسيد جيرارد مناسبان لبعضهما، وإن لم يكتشفا الأمر بعد فالوقت كفيل بإحداث المعجزات.

أشرقت الشمس صباح يوم السبت، وبدت الحديقة زاهية كما لم تكن من قبل. فارتدت جوليا ثيابها استعداداً للرحيل وقصدت الحديقة لتودّعها، أمّا روث فبقيت في المطبخ مع السيدة بيكيت.

لكن جوليا لم ترغب بتوديعها إلاّ في اللحظة الأخيرة، فراحت تتجول في أرجاء الحديقة، تتنشق رحيق الأزهار. ودنت من أزهار البنفسج لتشتم رائحتها العطرة، فقال البروفسور من خلفها: «أمي

زرعت هذه الأزهار».

انتفضت جوليا وقامت بسرعة لتسأله: «لِمَ أنت هنا مجدداً؟».

فأجابها بلطف: «أظن أن هذا منزلي».

فاحمرّت جوليا واعتذرت منه: «آسفة، كنت فظة معك ولكنك فاجأتني».

ولمّا لم يجب على تعليقها، تابعت: «هل أتيت لتبقى؟ نحن ممتنتان كثيراً لأنك دعوتنا فقد أمضينا وقتاً رائعاً. لا بدّ أنك سعيد بالعيش هنا... والحديقة جميلة كذلك».

ـ يا له من حديث لطيف!

السخرية في صوته أعادت الاحمرار إلى وجنتيها.

ـ أنا سعيد لأنكما استمتعتما. هل أنت جاهزة للرحيل؟ هيا بنا نرتشف القهوة التي أعدّتها السيدة بيكيت.

توجها نحو المنزل بدون أن يتفوها بأي كلمة وسارعت روث لملاقاتهما.

ـ جوليا، أليس الأمر رائعاً! سيبقى توماس حتى الغد. سنحظى بيوم كامل معاً.

ومالت روث نحو البروفسور مضيفة: «أنت لطيف جداً معنا...».

ـ يحق لتوماس بيومي عطلة، فتدبرت الأمور لكي يناسب الأمر الجميع. لكنني آسف، لأنني لن أستطيع البقاء معكم. سأوصل جوليا إلى المنزل.

كانت جوليا تبتلع قهوتها، وكادت تختنق عند سماعها كلماته، فقالت ببرودة: «أهناك ما عليّ معرفته؟».

ضحكت روث قائلةً: «آه، ألم يقل لك البروفسور؟ سيصطحبك إلى المنزل».

وقبل أن تتمكن من التفوه بأي كلمة، قال البروفسور: «سنغادر في غضون خمس دقائق. عليّ معاينة بعض المرضى هذا المساء».

أجابته جوليا: «لكنك وصلت للتو، ولا بدّ أنك تودّ البقاء قليلاً».

ـ أودّ ذلك حقاً ولكن لا يمكنني. قومي بما عليك فعله الآن لأننا سنرحل حالاً.

أحضرت جوليا سترتها وراح الجميع يودّعها ويقبلها ويضمّها حتى وصلت إلى السيارة. وبدا الجميع سعيداً لأجلها لأنها ستقوم برحلة مريحة في السيارة.

أدخلت روث رأسها من النافذة قائلةً: «سأتصل بك عند عودتنا. ستكون ترودي هناك، أليس كذلك؟ لن تكوني وحيدة؟».

ـ ومن هي ترودي؟

طرح البروفسور هذا السؤال عندما انطلقت السيارة بهما.

ـ إنها المستأجرة عندي. أي طريق ستسلك؟

ـ من (كاليه) سنستقل الباخرة وسوف نصل في أواخر بعد الظهر.

على جوليا أن تبذل بعض الجهد لتكون لطيفة خلال الرحلة، ولعله يكره رفقتها بقدر ما تكره رفقته، فقالت له محاولةً التودد قليلاً: «إنها مسافة طويلة».

ـ نامي إذا أردت كما أنك لست مضطرة للتحدث معي وملاطفتي.

كادت تتفوه بكلام فظ إلاّ أنه مات على شفتيها. لم تستطع قول ما فكرت فيه فهو سيوصلها إلى منزلها، وهي تودّ أن تصل سالمة.

جلست جوليا بهدوء ولكنّ بركاناً راح يغلي في صدرها. وأخذت تحدّق بالمناظر الريفية، ولكن ما إن وصلوا الطريق العام، حتى لم يعد هناك ما تنظر إليه، باستثناء بعض اللافتات الزرقاء.

ـ لماذا نتجه نحو استردام؟ قلت إنك ذاهب إلى كاليه، ألا يجدر بنا أن نتوجه جنوباً؟

www.elromancia.com

أجابها بلهجة هادئة زادت بركانها هيجاناً: «إننا نتجه إلى أمستردام لأنني مضطر لذلك. وبعد ذلك سنذهب إلى كاليه، فلا تقلقي».

ـ لست قلقة.

وبما أنه لم يكن لديها المزيد لتقوله، غرقت في الصمت مرة أخرى. ولكن ما إن وصلوا المدينة وجالوا في ضواحيها حتى نسيت جوليا صمتها، فالشوارع القديمة مذهلة، والمنازل المصطفة على الجانبين بقيت تماماً كما كانت قبل ثلاثمئة عام.

ـ أنظر إلى القناة وإلى تلك الجسور الصغيرة، وذاك الزورق المزيّن بأزهار... يمكنني أن أسمع الأجراس...

ـ إنّ الزورق راسٍ بالقرب من الرصيف ليتمكن الناس من شراء الأزهار. والجسور منتشرة في كل مكان، سنسلك ذلك الممتدّ أمامنا.

كان الشارع في الجهة الأخرى ضيقاً، تحيط به منازل من قرميد من جهة، وقناة ضيقة من الجهة الأخرى.

ركن البروفسور سيارته في الشارع وفتح الباب لجوليا.

ـ أليس من الأفضل أن أبقى في السيارة؟ ربما...

ـ أخرجي، ليس لدي وقت أضيّعه.

خرجت من السيارة غاضبة، ورافقته حتى عتبة البيت بدون أن تتفوه بأي كلمة. تمنت لو تختفي في هذه اللحظة إلاّ أنها بدت متشوقة لمعرفة من في داخل المنزل. وتساءلت عما إذا كانوا أصدقاءه أو أمراً يتعلق بعمله.

عند رؤيتهما، راح الرجل العجوز الذي فتح لهما الباب، يتكلم باللغة الهولندية فلم تفهم جوليا أيّ كلمة.

بدا واضحاً أنه يعرف البروفسور وأن البروفسور يكنّ له الاحترام.

راحت جوليا تجيل ناظريها في المنزل وشعرت بشيء من السعادة. المنزل جميل بجدرانه المزينة باللوحات وثرياته القديمة وأرضه

المكسوة بالسجاد العجمي الثمين وطاولاته المزدانة بالورود الجميلة.

خطفت تلك المناظر الجميلة وذاك المنزل الفخم أنفاسها إلاّ أن صوت البروفسور أعادها إلى الواقع: «أعرفك إلى (ويم) إنه يهتم بالمنزل وبكل من يزوره».

صافحها ويم بلطف، ورحّب بها. فسألت جوليا البروفسور: «هل هذا منزلك؟».

ـ نعم إنه منزلي. سوف نشرب القهوة معاً ثم استأذنك لأهتمّ بمسألة أو اثنتين. سنغادر بعد نصف ساعة.

تقدّم ويم أمامهما ليفتح لهما باب غرفة مفروشةٍ بكراسٍ مريحة تحيط بمدفأة كبيرة، ويتوسطها مكتب خشبي يعلوه مصباح يغمر الغرفة بنوره الخافت.

ما إن فتح الباب حتى وثب لملاقاتهما كلب ضخم كشّر عن أنيابه، فقال البروفسور مطمئناً جوليا: «لا تخافي، إنه يبتسم. هذا جايسون، كلب رائع يفدي من يحب بحياته. قدّمي له يدك».

حاولت جوليا جاهدةً ألاّ تنظر إلى أنيابه بينما مدّت يدها فلعقها الكلب وراح يحدّق بوجهها.

قالت له: «أنا جوليا».

ثم ربتت على رأسه الكبير، ووجهت حديثها إلى البروفسور: «لا بدّ أنك تشتاق إليه».

ـ نعم ولكنني أنوي أن أمضي هنا وقتاً أطول من الذي أمضيه في انكلترا. أمّا في الوقت الحاضر، فأمرّ كلما استطعت.

أزعجتها إجابته بعض الشيء.

وبعد أن تناولا القهوة التي قدّمها لهما ويم، استأذن البروفسور بغية إجراء بعض المكالمات الهاتفية، وقال:

ـ سنغادر بعد ربع ساعة. سيدلك ويم على الغرفة التي يمكنك أن

www.elromancia.com

ترتّبي ثيابك فيها.

وغادر البروفسور الغرفة، وجايسون يتبع خطاه. أمّا جوليا فبقيت تتأمل المكان، وراحت تفكر في لو أن الغرف كلّها مفروشة بهذه الفخامة، فلا بدّ أن البروفسور يعيش بترف. تأملت جوليا صورة رجل عابس يرتدي شعراً مستعاراً: الأجداد يعودون إلى أزمنة غابرة وكانوا فاحشي الثراء.

شعرت بلسان رطب يلعق يدها، فالتفتت لترى جايسون قربها. استدارت بسرعة، وتساءلت عما إذا سمعها البروفسور... ليس على ما يبدو فهو في الجهة الأخرى من الغرفة، ينظر من النافذة. تنهدت بارتياح وقالت بسرعة: «أتريد الرحيل؟ سأسأل ويم...».

ـ الباب الأول لجهة اليمين. لا تتأخري.

وافته بعد دقائق واعتذرت عن تأخرها، ثم ودّعت ويم وضمّت جايسون قبل أن تصعد إلى السيارة.

ـ لا تقلق، سيعود قريباً.

والتفتت بعيداً لئلا ترى الوداع بين الكلب وسيّده.

قاد البروفسور سيارته متجهاً نحو الطريق العام، وجلست جوليا بقربه صامتةً، ظناً منها أنه لا يرغب بالكلام، فلا شك أن لديه أموراً كثيرة يفكّر فيها.

راحت تمتّع ناظريها بالمشاهد الطبيعية. من المؤسف أن الطريق العام يتخطى البلدات والقرى ولكن كثيرة هي الأشياء التي تلفت الإنتباه. أبقت جوليا نظرها على اللافتات. حبذا لو كان معها خريطة...

ـ ثمة خريطة في الجيب بالقرب منك.

هل يقرأ الأفكار أم أنه يريد أن يشغلها لئلا تتكلم؟

ورجّحت الفكرة الأخيرة. وفتحت الخريطة.

توجها جنوباً نحو أوترشت ودوردرشت، ثم إلى بريدا حيث توقفا أمام مقهى خارج البلدة. قال البروفسور: «سنبقى لربع ساعة فقط. ماذا تودّين أن تشربي؟».

رأت جوليا لافتة على باب المقهى الخلفي، كتب عليها «للسيدات» فقالت له: «أي شيء».

ثم انصرفت بسرعة.

عند عودتها، سحب لها البروفسور الكرسي لكي تجلس.

كانت القهوة جاهزة، ترافقها رقاقات بالجبنة.

أكلا بسرعة وبدون التفوه بأي كلمة ثم غادرا وفمها لا يزال ملآناً.

اعتذر منها البروفسور قائلاً: «آسف للاستعجال».

ـ لا تقلق، بروفسور.

في الحقيقة كانت تستمتع بوقتها. وعند وصولهما إلى كاليه، قال البروفسور: «وصلنا في الوقت المحدّد».

صعدا إلى الباخرة وجلست جوليا قرب النافذة.

ـ اذهبي وسرّحي شعرك، سأطلب الشاي.

إن الوقت مبكر للشاي ولكن رؤية طبق الكعك وفناجين الشاي أفرحتها كثيراً. وبينما كانت ترتشف فنجانها الثاني، راح البروفسور يتأمل جمالها. من المؤسف ألا يروق أحدهما للآخر...!

خلال الرحلة، تطرّقا إلى مواضيع كثيرة إنّما عامة. وعندما اقترح عليها البروفسور أن تأخذ قيلولة قبل الهبوط، أغمضت عينيها فوراً وهي تفكّر في أنها طريقة مهذبة لإنهاء الحديث.

قرّرت جوليا ألاّ تنام ولكنها أغمضت عينيها لئلا تضطر للنظر إليه...

ربت البروفسور على كتفها ليوقظها قائلاً: «ستصل الباخرة بعد عشر دقائق، جهّزي نفسك. ثم إن شعرك يحتاج للتسريح».

وفكّرت جوليا أن الشعر المشعث وغير المرتّب يجب أن يكون أمراً طبيعياً وغير محرج بين شخصين لا يحبان بعضهما. ولكن لم يكن لديها متسع من الوقت لتعلق على الموضوع.

توجها نحو دوفر ثم إلى لندن بدون تضييع الوقت.

إنه يوم سبت، وفكّرت جوليا في أن عليها أن تتسوق لتؤمن الطعام لعطلة الأسبوع. ففكرة منزل باردٍ وبرّاد فارغ ليست مغرية على الإطلاق ولكن الرجال لن يفكروا بهذا الأمر، طبعاً.

لا شك أن البروفسور سيذهب إلى منزله بعد معاينة المرضى، ليرى طعامه محضّراً على المائدة.

وعندما وصلا إلى لندن، بدأت جوليا تتلو على مسامعه خطاب الشكر: «لطف منك أن توصلني. أنا ممتنة لك وآمل ألاّ أكون قد أخرّتك عن عملك. إذا أردت، يمكنني أن أنزل هنا واستقل حافلة...».

ـ منزلك قريب من المستشفى ويسهل عليّ توصيلك إلى هناك. ثم إن الوقوف في أي مكان هنا، من شأنه أن يؤخرني.

حاولت ضبط لسانها ريثما تصل إلى المنزل الذي بدا مهجوراً تماماً كالشارع المقفر، لكنها قالت له مبتسمة: «كم جميل أن يعود المرء إلى منزله... وبهذه السرعة».

لم يعلّق البروفسور على ملاحظتها إنما أخرج حقيبتها من السيارة وأخذ مفتاح المنزل من يدها، ثم فتح لها الباب ودفعها نحو الردهة الضيقة.

ـ لا تنتظرني... وشكراً مجدداً.

ـ هذا من دواعي سروري. إلى اللقاء، جوليا.

وانطلق بسيارته دون النظر إلى الوراء.

وقفت جوليا عند عتبة الباب وقالت غاضبةً: «يا له من رجل

بغيض! آمل ألاّ أراه مجدداً. أعادني إلى المنزل باكراً لأنه على عجلة من أمره. أتمنى أن يكون قد تأخر على موعده وآمل أن تذلّه امرأة جميلة».

لم تقصد كلمة ممّا قالته ولكنّ ذلك جعلها تشعر بتحسّن.

دخلت جوليا المنزل فاستقبلها هرهّا (كافن) ثم أتت ترودي لملاقاتها.

ـ عرفت أنك ستعودين اليوم، فهذا ما قاله لي الرجل الذي أحضر العلبة.

ـ العلبة؟ أي علبة؟

ـ إنها من متجر يقع في الشارع المجاور. وضعتها على الطاولة.

ذهبتا لإلقاء نظرة عليها. إنها علبة كبيرة، حزمت بأناقة. وجدت جوليا داخلها الشاي والقهوة والسكر والحليب والكعك والبيض والدجاج والسمك والعصير...

قالت جوليا: «لا بدّ أن هناك خطأ ما».

هزّت ترودي رأسها قائلةً: «سألت الرجل أن يتأكد فقال لي إنه ما من خطأ، إذ طلبها عبر الهاتف شخص يدعى البروفسور ڤان درمايس وسأل المتجر أن يسلّمها اليوم بعد الظهر».

ـ يا إلهي! لم يقل لي شيئاً. لقد أوصلني إلى المنزل لكي تبقى شقيقتي وزوجها يوماً آخر في هولندا. لم نتوقف في الطريق إلاّ مرة لأن عليه العودة قبل المساء.

قالت ترودي سعيدة: «إنها علبة رائعة!».

ثم استأذنت: «سأخرج هذا المساء. هل ستكونين بخير؟».

ـ نعم، لا تقلقي وشكراً لاهتمامك بمافن والمنزل. بالمناسبة هل اتصل أحد بخصوص الغرفة؟

ـ لا. هل استمتعت؟

ـ كثيراً. سأخبرك لاحقاً.

www.elromancia.com

غادرت ترودي ودخلت جوليا المطبخ لتطعم مافن وتتناول عشاءها. وبعد أن استلقت على سريرها، راحت تكتب رسالة إلى البروفسور. لعلّ عبارات الشكر والثناء تزعجه ولكنها مرغمة على ذلك بسبب ما فعله. غفت جوليا أخيراً لكنّ نومها كان متقطعاً، إذ استيقظت بين الحين والآخر لتدوّن بعض الجمل التي اعتبرتها مناسبة.

كانت الرسالة التي كتبتها مصاغة بأسلوب جيد ومدوّنة بخط جميل، كما أن مضمونها متماسك ولائق جداً. وعندما قرأها البروفسور، انفجر في الضحك.

بعد اعتيادها على منزل البروفسور، توجّب على جوليا أن تعتاد على منزلها من جديد. وعند عودتها، اتصلت روث بها وأخبرتها أنها سعيدة بالعودة إلى منزلها الصغير. أمّا جوليا فقالت لها إن ثمة مستأجر قد يشغل الغرفة وإن الحديقة جميلة جداً. غير أن أياً من هذا لم يكن صحيحاً. ولسبب ما شعرت جوليا بالإحباط، إلاّ أنها قالت في سرّها إن الأمور سرعان ما تتحسّن. ثم قصدت بائع الصحف لتضع اعلاناً. وفي اليوم التالي، تقدّم شخصان لاستئجار الغرفة، أحدهما رجل متوسط السنّ، تفوح منه رائحة نتنة ويريد أن يطهو طعامه في المطبخ، والآخر امرأة أنيقة تنتعل حذاء ذا كعب عالي.

وقالت لجوليا بشيء من الخجل إنها تتوق للزواج، وسألتها إن كان لديها مانع من تلقي المكالمات الهاتفية من صديقها.

أجابتهما جوليا أن الغرفة قد أُجرّت وراحت تراقب رحيلهما بشيء من الأسف، فبدل الإيجار كان سيفيدها...

لكنّها لم تفقد الأمل. وقد وجدت عملاً مؤقتاً كموزّعة للدليل المحلّي. إنه عمل مملّ جداً لأن الشوارع المجاورة متشابهة وكذلك المنازل، لكنّها حاولت التغلّب على هذا الضجر من خلال ذكريات العطلة التي أمضتها في الريف. ووجدت نفسها في نهاية الأسبوع مع

بعض المال. كما أنها أجابت على بعض الإعلانات المنشورة في الصحف والتي تطلب المساعدة في المنازل ومع الأطفال. لكنها قالت في قرارة نفسها إنّ الأمور لن تستمرّ على هذا المنوال.

قصدت جوليا روث يوم الأحد لتناول طعام الغداء معها. وبعد انتهائهما قالت روث: «بما أنك هنا، هلاّ ألقيت نظرة على الكرسي الذي سأنجّده؟ إنه في الغرفة الأخرى. لقد حاولت القيام بهذه المهمة لكنه لا يبدو جيداً. أنت بارعة في هذه الأمور».

توجهت جوليا إلى الغرفة الأخرى الخالية من أيّ أثاث باستثناء بعض الحقائب والكتب بالإضافة إلى الكرسي. إنه جميل لكن روث ثبتت المخمل عليه بشكل عشوائي.

انحنت جوليا وانترعت الدبابيس التي وضعتها شقيقتها، ثم أعادت تثبيت المخمل وتوجهت إلى الغرفة. وقبل أن تدخل، سمعت صوت روث: «أوه، توماس، لا يمكنني أن أطلب ذلك من جوليا. إلى أين ستذهب؟ لكن الأمر سيكون رائعاً لأننا سنتمكن من شراء منزل خاص بنا. أمّا مونيكا وجورج فسيحصلان على تدفئة مركزية وحمّام جديد. إذا بعنا المنزل، حصلنا على ما يكفي من المال».

ـ نعم، يا حبيبتي، أعرف ذلك، إلاّ أنه لا يجدر بنا التفكير بالأمر قبل أن تتزوج جوليا.

عادت جوليا أدراجها وأقفلت الباب بهدوء وجلست على الكرسيّ. لقد فكرت بالموضوع من قبل، إلاّ أنها استبعدته تماماً. يا لغبائها! ليس المنزل بمميز ولكنه يضمّ ثلاث غرف نوم. وبالرغم من أن الشارع قديم، إلاّ أنه هادىء وتمرّ به وسائل النقل.

ولعلّه سيعود عليها بثمن جيد، فتحصل شقيقتاها على ما تبغيانه. أمّا هي، فستبحث عن شقة صغيرة وتتابع دروساً في اختصاص أو في آخر.

آثرت جوليا الانتظار لعدة أيام قبل أن تفتح الموضوع...

وعندما سمعت جوليا وقع أقدام متجهة نحو الغرفة، راحت تتظاهر بالعمل على الكرسيّ. دخلت روث الغرفة وسألتها: «كان الباب مغلقاً. ألم تسمعيني؟».

ـ لا. وهل كنت تناديني؟

ثم وقفت وقالت: «هل عاد توماس؟ سأذهب لأراه».

* * *

٤ ـ تعمل لأجله

سنحت لها فرصة التحدّث بمسألة المنزل في وقت أقرب ممّا توقعته.

فعندما اتصلت مونيكا للسؤال عن عطلة هولندا وعندما لم يعد من كلام يقولانه عن الموضوع، راحت مونيكا تتكلم عن جورج وعن المنزل والقرية: «أنا سعيدة جداً، جوليا...».

وبدا لجوليا أنها اللحظة المناسبة لتفتح الموضوع، فقالت لأختها الاقتراح الذي سبق وحضّرته جيداً: «لا أعرف لِمَ لم أفكّر بالموضوع من قبل. لم أقل أي شيء لروث بعد. أتظنين أنها فكرة سديدة؟ على كل حال، إنها مجرد فكرة خطرت لي...».

واستشفّت جوليا الحماس في صوت مونيكا.

ـ ولكن ماذا عنك؟

ـ سأشتري شقة صغيرة وأتابع دروساً في خياطة الأزياء. تعرفين جيداً أنني أحب هذه المهنة.

ـ هل سيؤمن مبيع المنزل كل ما نحتاجه؟

ـ نعم، ولكن ربما لن تروق الفكرة لروث...

ـ سوف أكلّمها لأسألها. هل هذا فعلاً ما تريدينه، جوليا؟

ـ آه، نعم، فكّرت بالموضوع. لن أضطر للاعتماد على المستأجرين، وسأكون حرّة، وأذهب في العطل متى شئت وأفعل ما

www.elromancia.com

طاب لي، كما أنني سأعمل في مجال أحبّه.

وأقفلت جوليا السمّاعة بعد أن تأكدّت من أنها أقنعت مونيكا. ولم يبقَ أمامها سوى الانتظار ريثما تقرر روث وتعلمها مونيكا بالأخبار الجديدة.

غير أنها لم تنتظر طويلاً إذ إنّ روث اتصلت بها في المساء نفسه: «اتصلت بي مونيكا وقالت لي إنك اقترحت بيع المنزل. ولكن جوليا، ماذا عنك؟».

فكرّرت جوليا لروث ما سبق وقالته لمونيكا ثم أضافت: «أتروقك الفكرة؟ إنها مجرد...».

ـ أتريدين ذلك حقاً؟ هل ستسعدين أكثر في مكان آخر؟ وهل ستحظين بما يكفي من مال لتشعري بالراحة؟

ـ لا أشعر بالراحة الآن. فأنا بحاجة إلى ثلاثة مستأجرين لأتدبّر أموري وليس لدي سوى واحد. ثم لم أخبرك أنه تمّ صرفي من شركة البطاقات، أظنها فعلة أوسكار... سأعمل في مجال الأزياء وأسكن في شقة صغيرة...

ـ آه، عزيزتي، لم أكن أعرف. أظنها فكرة سديدة. بالمناسبة، لقد رأيت وتوماس منزلاً معروضاً للبيع بالقرب من المستشفى، إنه هادىء جداً...

ـ أرأيت؟ إنها مشيئة الله!

وقررت جوليا أن تضرب الحديد وهو حام، فقدّرت ثمن المنزل والمبلغ الذي اقترحه السمسار حسم المسألة. وكان بحوزة هذا الأخير لائحة بالأشخاص الذين يودّون شراء منزل مماثل. أمّا روث وتوماس فراحا يتحققان من المنزل الذي يودّان شراءه.

وقال توماس لزوجته: «مؤسف أنّ البروفسور ليس هنا وأظننا سننتقل إلى منزلنا الجديد قبل عودته».

ـ هل سيبقى طويلاً في إدينبرغ؟

ـ لا، ما زال أمامه بضعة أيام هناك. ولكنه سيقصد فيينا لإلقاء بعض المحاضرات ومن ثم يتوجه إلى هولندا ليمضي أسبوعاً أو اثنين فيها.

ـ ستكون مفاجأة له. آه توماس، آمل أن يتم بيع المنزل بسرعة. وهذا أيضاً ما تودّه مونيكا، إذ أن مكتبها مليء بمنشورات ونماذج عن التدفئة المركزية والحمّامات.

أمّا جوليا التي كانت تجهل أن البروفسور في الخارج، فقصدت المحامي الذي يحتفظ بصكوك الملكية، ثم شرحت الوضع لترودي وتمنت لها التوفيق في إيجاد مكان آخر.

الآن وقد قررت بيع المنزل، أرادت أن تنتهي الأمور بسرعة وتبدأ حياة جديدة.

تم بيع المنزل في غضون أسبوع وأراد المالك الجديد أن ينتقل إليه حالما تتمكن جوليا من مغادرته. وأتت مونيكا وروث لمساعدة جوليا في حزم حقائبها وقد قدمت لهم ترودي يد العون أيضاً.

ولا تتعلق المسألة فقط بحزم الحقائب إنما بأثاث المنزل كذلك، الذي توزّع على الشقيقات الثلاث. أمّا ما تبقى منه فآل إلى ترودي التي ستتزوج قريباً.

وقبل ثلاثة أيام من انتقال المالك الجديد إلى المنزل، وجدت جوليا نفسها في مكان شبه فارغ. انتقلت ترودي للسكن مع معلمة الحضانة الأخرى وأتى جورج لنقل الاثاث الذي اختارته مونيكا وكذلك فعل العامل الذي كلّفته روث بنقل ما انتقته لمنزلها الجديد.

فبقيت جوليا مع سرير واحد وعدد من الحقائب والكتب بالإضافة إلى طاولة المطبخ وكرسيّين. وقالت في سرّها إنها في الغد ستذهب للبحث عن غرفة للإيجار. أرادت أن تعثر على شقة صغيرة في شارع

هادىء وفي محيط أفضل. ربما في إسلينغتون إذا وجدت مكاناً يناسب ميزانيتها أو في فينسبوري، قريباً من روث وتوماس... وتمنت لو أن أحداً يستطيع أن ينصحها، فتراءى وجه البروفسور أمام عينيها لكنها قالت في قرارة نفسها: «يا للهراء! ليس في البلاد ثم إنه لا يهتم البتة».

قالت روث إنه خارج البلاد وإنها لم تخبره بانتقالهما إلى منزلهما الجديد: «سنفاجئه! سيعود قريباً».

وراحت جوليا تفكّر: «ليس قبل رحيلي. إنه رجل بغيض».

وفي اليوم التالي، ذهبت بحثاً عن غرفة إلاّ أنها عادت خائبة الأمل. لم يعجبها أيّ من الأمكنة التي زارتها، وفي المكان الوحيد الذي راق لها، قالت لها المالكة: «لا أريد قططاً في منزلي، يا لها من مخلوقات قذرة!».

وقرّرت جوليا أن تتابع البحث في اليوم التالي.

وكانت على وشك إنهاء فطورها في الصباح التالي عندما قرع أحدهم بابها، وما إن فتحت حتى ظهر البروفسور عند العتبة.

فرحت لرؤيته وهذا أمر عليها التفكير به لاحقاً. أمّا في الوقت الحاضر، فبقيت تحدّق فيه دونما التفوّه بأي كلمة.

قال لها بطريقة ودودة وهادئة: «صباح الخير، جوليا».

وانتظر أن تدعوه للدخول.

ـ تفضل بالدخول. هل حصل شيء لروث وتوماس؟ الوقت مبكر جداً...

ـ لا علاقة لروث وتوماس بالأمر. أردت فقط أن أكلّمك.

وقف في الردهة ونظر حوله ليرى المنزل فارغاً: «هل من مكانٍ...؟».

قادته إلى المطبخ ولكنها شعرت بالانزعاج لأنه سيرى الفقر الذي تعيش فيه. لم يكن على المائدة سوى زجاجة حليب ورغيف خبز

بالإضافة إلى بعض الزبدة...

قالت له بتهذيب، ولكن بلهجة من يستضيف شخصاً غير مرحّب به: «تفضل بالجلوس».

وعندما جلس على الكرسيّ الآخر اقترحت عليه: «هل تودّ بعض الشاي؟».

ـ نعم من فضلك.

ثم وقع نظره على رغيف الخبز، فسألته جوليا: «هل ترغب ببعض الخبز والزبدة؟».

فأجابها: «الفطور هو أشهى الوجبات».

ـ لا حاجة للسخرية. لِمَ أتيت؟

ـ قد تبدو لك هذه الزيارة غير اجتماعية. ولكن لسوء الحظ، إنه وقت الفراغ الوحيد الذي أملكه خلال النهار...

قاطعته جوليا لتقول: «قالت روث إنك خارج انكلترا».

ـ عدت مساء البارحة. أخبريني جوليا، هل من مشاريع تقومين بها في المستقبل القريب؟

ـ ولِمَ تسأل؟

ـ سأخبرك عندما تجيبين عن سؤالي.

ـ لا أعرف سبب سؤالك ولكن، لا.

ـ هل لديك مكان تذهبين إليه غداً؟ شقة أو غرفة ما؟

ـ أنوي أن أجد واحدة اليوم.

ثم قطبت جبينها: «لا أظن أن هذا من شأنك، ثم نحن لسنا بصديقين».

وعلا الاحمرار وجنتيها عندما قالت ما قالته وتمتمت: «حسناً، أنت تعرف ما أقصده».

ـ لا علاقة للصداقة بهذا الموضوع، ثم أظن أنه يحق لي أن أطلب

المساعدة.

ـ أنا؟ أساعدك؟

ـ إذا توقفت عن مقاطعتي، يمكنني أن أشرح لك.

شرب كوب الشاي ثم نظر إليها. كان شعرها منسدلاً على كتفيها بشكل غير مرّتب لأنها منهمكة بحزم بعض الأمتعة وقد ارتدت قميصاً قطنياً بهتت ألوانه بسبب الغسيل المتكرّر. ولكنها بدت جميلة بالنسبة إليه. شقيقتاها جميلتان أيضاً ولكن جوليا مفعمة بالحياة، تنبض بالطاقة والحيوية وترفض أن تقرّ بأن الحياة ليست ما تمنت أن تكون عليه. كما أن لسانها لاذع وأطباعها شرسة...

قال لها بلطف: «بإمكانك أن تساعديني إذا أردت. هل تذكرين السيدة بيكيت؟ لقد زرتها ليوم أو اثنين. إنها مصابة بذات الرئة وهي الآن في المستشفى. وهي لم تعد شابة. فهلاّ ذهبت إلى هولندا واهتممت بالمنزل أثناء غيابها وأرجو أن تبقي معها عند عودتها ريثما تتحسّن حالها؟».

نظرت إليه فاغرةً فاها: «أذهب إلى هولندا؟ ولكن هل السيدة بيكيت بحاجة إليّ... وكم من الوقت سأبقى هناك؟».

فأجابها البروفسور برقّة: «سوف تسعد السيدة بيكيت برؤيتك مجدداً. لا يمكنني أن أؤكد لك كم ستبقين هناك ولكنها ستبقى في المستشفى مدة أسبوعين على الأقلّ. وعندما تعود إلى المنزل ستحتاج إلى قسط من الراحة».

ـ هل هي في المستشفى الآن؟

ـ نعم، في ليدن. فأحد زملائي هناك هو الطبيب المعاين. لقد تدبرت أحداً للاهتمام بالمنزل والهرّين ولكن بصورة مؤقتة ريثما أجد شخصاً لا التزامات لديه، فأتأكد عندئذٍ من أن السيدة بيكيت والمنزل والهرّين في أيادٍ أمينة.

ـ ولكن لِمَ وقع اختيارك عليّ؟

تجاهل سؤالها وتابع حديثه: «أعي تماماً أن ذلك قد يتعارض مع المشاريع التي خططت لها. ولكن ستحصلين بالطبع على راتب مقابل هذا العمل».

ـ في الواقع لم يكن لدي أيّ مشاريع أقوم بها. أقصد أنه يمكنني تأجيل ما خططت له وما من سبب يمنعني من الذهاب. متى تريدني أن أحضر؟

ـ غداً أو بعد غد. سأدبّر أمر الرحلة ومن يقلّك إلى المنزل. سيكون هناك من يعلمك عن حال السيدة بيكيت ويصطحبك لزيارتها إن أردت.

ووقف البروفسور استعداداً للرحيل، فلم تتمكن من طرح الأسئلة الكثيرة التي تزاحمت في رأسها.

فرحت جوليا بلقائه ولم تستطع إنكار ذلك، كما أنها ارتاحت لفكرة تأجيل مشاريعها المستقبلية لأسبوعين وإن لم تقرّ بذلك.

وبينما راحت تبحث بين أمتعتها، تساءلت كيف عرف بانتقالها من المنزل. هل عاد باكراً إلى انكلترا وأخبرته روث؟ بالتأكيد، لم يقرّر ذلك في ساعات قليلة.

وعندما حان وقت الغداء، وقع نظرها على مافن... فاتصلت بالبروفسور، ومن دون أي مقدمات، قالت له: «مافن... لا يمكنني الذهاب إلى هولندا، روث منشغلة كثيراً في منزلها الجديد ولا يمكنني أن أتركه».

ـ ما من مشكلة، سوف تعتني به مدبّرة منزلي في لندن. ستسافرين غداً بعد الظهر. سأصطحبك عند الظهر لتترك مافن بعهدتها.

ثم أقفل الخط بدون أن يفسح لها المجال لقول كلمة أخرى.

أمّا جوليا فتوجّهت بالحديث إلى الهر: «كم أنا غبية! سمحت

www.elromancia.com

للبروفسور ڤان درمايس بأن يستغلّني. لا بدّ أنني فقدت صوابي».

ولكنها شعرت بالسعادة لفكرة العودة إلى ذاك المنزل مجدداً حيث ستتمكن من اتخاذ قرار حول مستقبلها.

في اليوم التالي، أتى البروفسور لاصطحابها وكانت معاملات بيع المنزل قد أُنجزت نهائياً. أمّا حصتها من المال فبقيت مع روث بانتظار عودتها. وفي الوقت الحاضر لديها ما يكفي لرحلتها. لقد أتى البروفسور على ذكر راتب ولكنها على الأرجح مجرّد فكرة عابرة.

حيّاها بشكل عادي قبل أن يضع مافن على المقعد الخلفي. أمّا هي فلم تنظر إلى الوراء عندما انطلقت السيارة بهما. صحيح أنها عاشت وشقيقتيها في هذا المنزل إلاّ أنهنّ لم يعتبرنه يوماً منزلاً لهنّ.

جلست قربه ولم تتفوه بأي كلمة. راح يقود ببطء وعندما نظرت إلى الساعة، بدا لها أنهما لن يصلا أبداً إلى المطار في الوقت المحدّد. ثم التفتت إليه قائلة: «مافن؟».

ـ سأصطحبه إلى منزلي ما إن أراك على متن الطائرة. أعدك بأن أضعه بين أيادٍ أمينة.

ثم التفت إليها وقال: «ثقي بي، جوليا».

ـ نعم.

كانت جوليا آخر الصاعدين إلى الطائرة وبالكاد تمكنت من توديع مافن. وقال لها البروفسور إن أحدهم سيوافيها إلى شيبول وسألها أن تتصل به في المساء.

ـ رقم الهاتف مرفق بتذكرة السفر. إلى اللقاء، جوليا.

كانت شيبول تعجّ بالناس. وقفت جوليا برهة متمنية لو أنها لم تأتِ، ثم توقف أمامها رجل يحمل لافتة باسمها.

صافحته جوليا قائلة: «كيف حالك؟ هل المسافة بعيدة؟».

ـ لا، أنا أقود بسرعة.

ثم أمسك بحقيبتها وشقّ طريقه وسط الزحام ليصل إلى السيارة، التي أوصلتهما إلى المنزل بسرعة البرق.

وعندما ترجّلت منها، قال لها بيت إنه سيأتي في الصباح ليصطحبها لزيارة السيدة بيكيت. ثم أخذ حقيبتها وأدخلها المنزل قبل أن يرحل.

وكانت بانتظارها في المنزل سيدة، بادرتها بيسمة للترحيب بها، ثم راحت تتكلم بالهولندية.

ابتسمت جوليا بدورها ومدّت يدها لمصافحة السيدة، وقالت لها بعض الكلمات بالهولندية.

فأجابتها السيدة التي بدت مستمتعة بما قالته جوليا: «سأرحل. وأعود في الصباح باكراً لأطهو وأعمل».

ـ طيلة النهار؟

ـ في الصباح فقط، هذه أوامر البروفسور.

ـ كيف تجدينه؟

ـ إنه رجل طيب. الطعام جاهز. إلى اللقاء.

وما إن دخلت المنزل حتى دقّ جرس الهاتف.

سألها البروفسور: «هل استمتعت بالرحلة؟ هل كانت ميڤروستين هناك؟».

ـ هل هذا اسمها؟ لماذا تتصل بي؟ طلبت مني أن أتصل بك في المساء.

ـ ظننت أنك قلقة على مافن. لمَ أنت غاضبة؟

ـ لست غاضبة. أنا وحيدة في المنزل برفقة هرّين. أريد فنجان شاي، ومعرفة ميفرو بلغتنا لا تتعدى ما أعرفه بالهولندية.

ـ الفرصة مناسبة إذن لتحسّني قدراتك اللغوية.

ـ لا أنوي ذلك إطلاقاً. هل لديك ما تقوله لي؟ وإلاّ سأذهب لأضع

www.elromancia.com

الماء على النار . . .

تجاهل ما قالته وتابع حديثه : «غداً صباحاً سيصطحبك بيت لرؤية السيدة بيكيت. قرّري معها أو مع الطبيب متى تريدين زيارتها مجدداً وسيتولى بيت الأمر. كما أنه سيقلّك أينما شئت ويقوم بأيّ عمل تطلبينه منه».

ـ شكراً. هل مافن بخير؟

ـ يطيب له المكان كثيراً. آمل أنك تشعرين مثله، جوليا.

ثم أقفل الخط.

يا له من رجل فظ!

وكادت ترثي حالها وهي تدخل المطبخ، إلا أن رؤية طبق الشاي الجاهز على طاولة المطبخ جعلتها تتردّد قليلاً. إذ لم يكن هناك فقط فنجان شاي أنيق وعلبة سكر وإناء حليب، إنّما وجدت بالقرب من هذا كلّه طبقاً من الكعك والزبدة وصحن مربّى. وعندما فتحت الثلاّجة وجدت سمكاً جاهزاً للأكل وسلطة وبطاطا بالإضافة إلى الفراولة والقشدة والعصير.

أعدّت جوليا الشاي وحملته إلى غرفة الجلوس وهي تعيد التفكير بالطريقة القاسية التي تكلّمت بها مع البروفسور . . .

استقبلتها غرفتها بالأزهار وبعدد من الكتب والمجلاّت قرب سريرها بالإضافة إلى إبريق ماء وطبق من الكعك.

أمّا الحمّام فمجهز بالمناشف والصابون والزيوت العطريّة. لقد حرص أحدهم على راحتها، ولم تشعر بالملل إطلاقاً.

تناولت جوليا عشاءها وأطعمت الهرّين ثم صعدت برفقتهما إلى الحمّام لتغتسل قبل أن تنام. واستلقيا بجانبها فراحت تفكّر إن كان مافن يلقى عناية جيدة. وخلصت إلى أنه بأفضل حال لأن البروفسور وعدها بالاهتمام به . . .

وفي الصباح التالي، استفاقت جوليا ودنت من النافذة لتتأمل الحديقة الزاهية ومناظر الريف الخلاّبة . . . وبعد أن استحمت وارتدت ثيابها، نزلت إلى المطبخ لتطعم الهرّين وتتناول فطورها، عندئذٍ دخلت ميڤرو ستين، فبادرتها بتحية وبسمة وقالت لها: «لقد أتى بيت، سابقى هنا».

أكملت جوليا فطورها بسرعة ثم أخذت حقيبة يدها وصعدت في السيارة ليتجها إلى ليدن. ولو أن بيت لم يسرع في القيادة، لاستمتعت كثيراً بالمناظر المحيطة. لكنه سائق ماهر والطريق أشبه بسهل يمتد أمامهما على مد النظر. عندما وصلا المستشفى قال لها بيت إنه سيعود بعد ساعة ليقلّها إلى المنزل وإن ما من داعٍ للعجلة لأنه سينتظرها في السيارة.

بدت السيدة بيكيت المستلقية في السرير محاطة بالوسادات ومقنعة بكمامة الأكسجين، وكأنها خسرت نصف وزنها. لكنها ابتسمت لجوليا ولوّحت لها بيدها.

قالت لها جوليا: «لا تتكلمي، سأجلس هنا وأطلعك على الأخبار كلّها!».

أصغت السيدة بيكيت لحديث جوليا ثم سألتها: «كيف حال بورتلي ولوفتي؟».

ـ كلاهما بخير. لقد ناما على سريري. هل تمانعين؟

ابتسمت السيدة بيكيت ثم قالت لزائرتها: «أنا سعيدة. لقد أتى السيد جيرارد لرؤيتي وسيعود لاحقاً. إنه طيب جداً معي».

ـ لقد رتّب كل شيء. وحالما تتعافين، ستعودين إلى المنزل وأبقى معك إلى أن تستعيدي عافيتك تماماً.

همست السيدة بيكيت: «سترغبين بالعودة إلى منزلك».

ـ لم يعد لديّ منزل. لقد بعناه وعند عودتي سأبحث عن مكان

أسكن فيه. يسعدني أن أكون هنا مجدداً فالمكان جميل وسأهتم بكل شيء.

ودنت جوليا من السيدة بيكيت وقبّلتها على خدّها الشاحب، مضيفة: «سأرحل الآن. وسأتصل بك يومياً وربما أزورك بعد يومين. ستتحسن حالك بسرعة. هذا ما قاله البروفسور...».

لم يكن ذلك صحيحاً، ولكن الغاية تبرّر الوسيلة...

ـ إذا قال البروفسور هذا، فلا بدّ أنه صحيح.

فرحت جوليا عندما رأت أن الطبيب الذي طلبت التحدث إليه، يتكلم الانكليزية مثلها. وأكّد لها أن السيدة بيكيت تتماثل للشفاء. صحيح أنّ ذات الرئة في مثل سنّها مرض لايستهان به ولكنها تجاوبت مع العلاج.

ـ هل أنت صديقة للبروفسور ڤان دورمايس؟

لو أنّ هذا صحيح، لوفّرت على نفسها عناء الكثير من الشرح...

ـ هل أستطيع المجيء في أي وقت؟ ربما ليس يومياً، ولكنني سأتصل صباح كل يوم لتعلمني إن كان ذلك ضرورياً.

ـ طبعاً.

رافقها إلى المدخل حيث ينتظرها بيت وبقي هناك إلى أن انطلقت السيارة بهما. وراح يفكر في نفسه أنها فتاة جميلة. لقد أخبره جيرارد أنها امرأة عاقلة وقادرة على الاهتمام بنفسها ومعالجة أي مشكلة قد تطرأ. وفي حال حصل ذلك سيأتي جيرارد بالطبع بأسرع ما يمكن...

أمضت جوليا الأيام التالية بزيارة السيدة بيكيت وبالاستمتاع... أو بالاحرى الاعتياد على قيادة بيت المجنونة، وبملاعبة بورتلي ولوفتي وبتزيين المنزل بالورود لأنّ الأمر يروق للسيدة بيكيت. لكن أكثر ما انتظرته هو رنين جرس الهاتف كل مساء. صحيح أن البروفسور لم يكن لديه الكثير ليقوله إلاّ أن صوته يبعث فيها الاطمئنان والراحة. وبعد

بضعة أيام قال لها البروفسور هاتفياً: «بالنسبة إلى أجرك، سألت المصرف أن يرسله لك أسبوعياً».

ـ لست بحاجة للمال.

ـ الجميع بحاجة إلى المال من وقت إلى آخر.

ثم أقفل الخط قبل أن تتمكن من إضافةَ أيّ كلمة.

عندما أحضر لها ساعي البريد المال، جلست تعدّه. بدا لها المبلغ ضخماً وافترضت أنه أجر الشهر بأكمله، فذهبت إلى البلدة واشترت البطاقات البريدية والطوابع والحلوى.

وفي الاسبوع التالي، وصلها المبلغ نفسه. وعندما اتصل بها في المساء، قالت له إن ثمة خطأ ما فقد سبق لها وقبضت أجرها.

ـ ألم أكن واضحاً معك؟ ستحصلين على المال أسبوعياً...

ـ ولكن المبلغ كبير...

ـ أرجو منك ألاّ تجادلي في هذا الموضوع. متى ستزورين السيدة بيكيت؟

ـ غداً صباحاً، لماذا؟

ـ إذا تركتني أتكلم، سأخبرك. تحسّنت حالها وستعود على الأرجح في غضون أيام قليلة. وعليها أن ترتاح في المنزل. أعتمد عليك.

ـ سأهتم بها. كيف ستعود إلى المنزل؟ هل أذهب مع بيث لاصطحابها؟

ـ سأخبرك في الوقت المناسب. ولكن في هذه الاثناء عليك أن تري الطبيب غداً.

ـ حسناً.

ثم استدركت وقالت له: «ألا تقول أبداً «إلى اللقاء»؟».

ـ ليس لك، جوليا.

ثم أقفل الخط!

كانت السيدة بيكيت جالسة على كرسيّها بالقرب من السرير عندما وصلت جوليا المستشفى. بدت مرهقة وشاحبة جداً، لكنّ جوليا فرحت لرؤية حبّ الحياة ينبض فيها من جديد.

قالت لجوليا: «سأعود إلى المنزل قريباً. لقد اشتقت إليه كثيراً...».

وترقرق الدمع في عينيها.

ـ سنمرح كثيراً. وسيسعد لوفتي وبورتلي برؤيتك... الحديقة تبدو رائعة وقد سألني العديد من الأشخاص عن حالك. أصدقاؤك كثر وسيأتون لزيارتك. ولكن الطبيب قال إنك بحاجة للراحة.

ـ أعرف. أخبرني السيد جيرارد. وسأفعل ما تقولينه لأيام فقط. لقد وعدني بأن تبقى الأمور على حالها.

ـ طبعاً، ستبقى كذلك. وأعدك بأنني لن أفعل شيئاً بدون موافقتك.

وضمت السيدة بيكيت بين ذراعيها إذ بدت ضعيفة وواهنة جداً.

ـ إذا كان الطقس دافئاً، ستجلسين في الحديقة وتملين عليّ ما يجدر بي فعله.

بعد أربعة أيام، استيقظت جوليا على صوت الباب يقرع بقوة.

فقالت في نفسها: «لا بدّ أن سوءاً أصاب السيدة بيكيت».

وهرولت على الدرج بثياب النوم، حافية القدمين.

كان البروفسور عند عتبة الباب.

ـ لم أستعمل مفتاحي. لم أشأ إزعاجك...

ـ ولكنك فعلت. أخفتني كثيراً. ظننت أنّ سوءاً أصاب السيدة بيكيت. ولِمَ أنت هنا؟

ـ هل أستطيع الدخول؟ هذا منزلي!

بدا لطيفاً إلاّ أنّه رمقها بنظرة ساخرة بينما تنحّت له جانباً ليدخل.

ـ آه، أنا آسفة. كان بإمكانك أن تتصل.

وافقها الرأي ولكنه لم يعرف أنه سيتمكن من ترك عمله لأربع وعشرين ساعة إلاّ في اللحظة الأخيرة، وكان الوقت متأخراً لذا لم يطلعها على الأمر.

ـ هل تريد الشاي؟ أو الفطور؟

توجّهت جوليا إلى المطبخ وعندما التفتت إليه، رأت التعب على وجهه...

ـ لم تنم. كيف أتيت؟ ومتى عليك الرحيل؟

ـ الليلة. جئت لأقلّ السيدة بيكيت إلى المنزل.

ـ تناول فنجان شاي ثم اذهب وارتح قليلاً ريثما احضّر الفطور. متى ستذهب إلى ليدن؟

ـ بعد الظهر.

وضعت إبريق الماء على النار وأخرجت فنجانين من الخزانة.

ـ لن تكون ميفروستين هنا قبل الساعة الثامنة.

قدّمت له قطعة كبيرة من الخبز، فجلس على المائدة وراح يتأملها. يتأمل شعرها المنسدل على كتفيها وقميص نومها الفضفاض وقدميها الحافيتين. إنها تماماً ما يودّ أي رجل رؤيته بعد ليلة مضنية.

غير مبالية البتة بمظهرها، قدّمت له جوليا الشاي وقطعة أخرى من الخبز والزبدة ثم سكبت لنفسها فنجان شاي. وقالت له: «هل أحضرت السيارة؟».

ـ نعم. سأستحم وأستريح قليلاً. هل يجهز الفطور عند التاسعة؟ لم تكن الساعة قد بلغت السابعة بعد.

ـ نعم، هل أحضره إلى سريرك؟

وانفجر البروفسور بالضحك.

ـ آخر مرة تناولت فيها الفطور في السرير، كنت في التاسعة من عمري ومريضاً. حصل ذلك منذ سبعة وعشرين عاماً.

وارتسمت بسمة على ثغره فأدركت فجأةً أنها لا تزال في ثوب النوم. قالت له: «سأناديك عند الساعة التاسعة».

بعد مغادرته المطبخ، اهتمت جوليا بالهرّين ثم صعدت لتستحم وترتدي ملابسها وترتّب سريرها قبل أن تنزل مجدداً. عندئذٍ دخلت ميڤرو ستين فألقت عليها التحية.

ولم تضطر لإبلاغها أن البروفسور هنا فسيارته في الخارج.

وبادرت ميڤرو بالكلام مبتسمة.

قالت لها جوليا: «السيدة بيكيت تعود اليوم إلى المنزل».

ثم فكّرت قليلاً قبل أن تضيف بالهولندية: «بعد ظهر اليوم».

أومأت ميڤرو برأسها وقالت: «سأنظف المنزل...».

ثم خرجت بعد أن حذّرتها جوليا من الصعود إلى الطابق العلوي قبل أن يستيقظ البروفسور، قائلةً بلغتها الهولندية الضعيفة: «لم ينم، أمضى ليلته بالقيادة».

دخلت ميڤرو غرفة الجلوس وأغلقت الباب وراءها وشغّلت المكنسة الكهربائية.

وبدأت جوليا بتحضير الفطور، البيض والبندورة والفطر والخبز المحمّص، والمربّى والشاي والقهوة. وبينما كانت منهمكة في التحضير، راحت تفكر في طعام الغداء. ستحضر السلطة واللحم. أمّا في المساء قبل رحيله، فستطهو له العجة الاسبانية والبطاطا المسلوقة والسلطة بالإضافة إلى قالب حلوى...

قاربت الساعة التاسعة وحان الوقت لتوقظه... لكنه دخل المطبخ من باب الحديقة.

ـ لقد استيقظت.

ثم قطبت جبينها لأن ما قالته للتو سخيف.

ـ أردت أن ألقي نظرة على الحديقة. أشتمّ روائح لذيذة.

بدا وكأنه نام الليل بطوله، فقد حلق ذقنه وتبدّل مظهره.

وفجأةً أدركت أنها تحدق فيه، فعلا الاحمرار وجنتيها.

نظر البروفسور إلى ذاك اللون الاحمر باهتمام ورأى أنه يزيدها جمالاً. ثم سألها: «كيف أساعدك؟».

ـ هلاّ حضّرت الخبز المحمص؟

عندئذٍ دخلت ميڤرو ستين وراحت تتكلم وتتكلم وبالكاد فهمت جوليا بضع كلمات من حديثها. قدّمت لها جوليا فنجان قهوة وتوجّهت ميڤرو إلى الطابق العلوي لتنظف الغرف.

قال البروفسور: «إنها امرأة طيبة. عندما ترحلين، سأبحث عن شخص يساعد السيدة بيكيت. ميڤرو عاملة نشيطة إلاّ أنها لا تحب تحمّل المسؤوليات».

ـ أفترض أنك تريدني أن أرحل حالما تعود السيدة بيكيت إلى المنزل.

ـ ولِمَ تفكرين هكذا؟ سوف تحتاجك السيدة بيكيت لثلاثة أسابيع على الأقلّ. هل ترغبين بالرحيل؟

ـ لا، لا، يعجبني المكان هنا. ولا أعرف كيف سأتمكن من العيش في مكان آخر. في الواقع هذا ليس صحيحاً إذ أن منزلك في أمستردام رائع كذلك.

ـ يعجبك أيضاً؟

ـ يا إلهي، وكيف لا يعجبني.

ـ إذن علينا إيجاد الوقت لنزوره مجدداً.

ثم أضاف قائلاً: «أفكّر في أن أعمل هنا بشكل مكثف وإلاّ أذهب إلى انكلترا إلاّ عند الضرورة، ومن وقت إلى آخر».

ـ أتعني أنك لن تعيش في لندن؟

وجملتها هذه الفكرة تشعر بخوف لم تفهمه.

حدّق البروفسور في وجه جوليا: «من وقت إلى آخر. سأذهب إلى البلدة لأرى بيث. هلاّ تناولنا الغداء قبل أن نذهب إلى ليدن؟».

ـ أن نذهب؟ أليس من المستحسن أن أبقى هنا وأحضّر كل شيء، الشاي والاستقبال.

وافقها الرأي على الفور ثم غادر المنزل. وراحت جوليا تتأمله. يبدو رجلاً مفعماً بالحياة والنشاط، رجلاً نام الليل بطوله ولا همّ يشغل باله.

* * *

٥ ـ شرارات صغيرة

لم يعد البروفسور إلاّ عند الغداء، وكانت جوليا تحضّر السلطة، فراحت تحدّث بورتلي الجالسة بقربها:

ـ سواء أرغب برفقتي أم لا، الأمر سيّان بالنسبة إليّ. ففي النهاية، لست سوى مدبرة منزل.

شرعت تفكّر في وضعها وترثي لحالها إلاّ أنها نسيت هذا كلّه عندما دخل البروفسور المطبخ، وقال لها بدون أي مقدمات: «سيأتي بيت كل يوم ويقوم بكل ما تطلبينه منه. أمّا إذا رغبت بالخروج، فسيبقى مع السيدة بيكيت وميڤرو ستين».

ـ شكراً، ولكنني سعيدة هنا. هل بإمكان السيدة بيكيت أن تجلس قليلاً في الحديقة كل يوم؟

ـ سيأتي دكتور غروت الذي قابلته في ليدن ليزور السيدة بيكيت غداً أو بعد غد وسيطلعك على ما يجب فعله.

ـ فهمت. متى ستعود؟

ـ تتشوّقين لرحيلي، جوليا؟ سأعود هذا المساء.

ـ لكنك أتيت للتوّ ولم تنم جيداً. لا بدّ أنك متعب للغاية.

ـ سأسافر بحراً وأنام في الباخرة.

قصد البروفسور المستشفى بعد الغداء بينما نظفت جوليا المطبخ وحضّرت أطباق الشاي قبل أن تصعد إلى غرفتها. وشعرت برغبة في

www.elromancia.com

التأنق والاهتمام بمظهرها، فارتدت قميصاً قطنياً نظيفاً لكنها لم تبدّل تنورتها. وأمضت وقتها في تصفيف شعرها، فعقدته بشريط مخملي وزينته بدبابيس جميلة. إلاّ أنها قالت للهرة الجالسة قربها: «لن يلاحظ شيئاً، على أي حال».

لكنه لاحظ، خلافاً لما اعتقدته. فعند عودته، كانت تنتظره في الخارج. رافق السيدة بيكيت إلى داخل المنزل وعندما مرّ قربها قال لها: «أعجبني شعرك. هل صففته إكراماً لي؟».

تدفّق الدم إلى وجنتيها خجلاً فيما دخل الجميع إلى غرفة الجلوس. جلست السيدة بيكيت في الكرسيّ الذي حضّرته لها جوليا ثم قالت: «كم تبدين جميلة يا عزيزتي. ويا لهاتين الوجنتين المتورّدتين! آمل ألاّ أسبب لك الإزعاج».

ضمّتها جوليا إلى صدرها قبل أن تجيب على ما قالته: «يا لهذا الهراء! أحب أن أكون هنا وسأحب أن أعتني بك. سأحضر الشاي، فلا بدّ أنك ترغبين في كوب منه».

خرجت جوليا من الغرفة وبقيت السيدة بيكيت مع البروفسور، فأومأت له برأسها وقالت: «إنها فتاة طيبّة، ألا توافقني الرأي، سيد جيرارد؟».

ابتسم لها قائلاً: «لا تحاولي استدراجي، حالما تشربين الشاي، ستخلدين إلى الفراش وتفعلين كل ما تقوله لك جوليا. سأزودها بتفاصيل علاجك قبل رحيلي».

انتهت فترة الشاي بسرعة، من حسن حظ جوليا التي لم يكن لديها الكثير لتقوله. استلم البروفسور زمام الحديث متوجهاً إليها من وقت إلى آخر ومتأملاً إياها بطريقة جعلتها تنزعج وتضطرب في آنٍ معاً. كما أن ملاحظته حول شعرها هزّت كيانها وزعزعت صفوها.

وعندما فكّرت بأنه سيرحل بعد ساعات قليلة، شعرت بالاكتئاب

بدون أن تعرف السبب.

لم تستسلم السيدة بيكيت للنوم سريعاً، وبعد أن رتبت جوليا امتعتها وتحدثت معها قليلاً عن المستشفى وعن مرضها، نزلت إلى المطبخ حيث كان البروفسور.

ـ سأغادر بعد ساعة تقريباً، تعالي واصغي جيداً إلى ما سأقوله.

ـ عليك أن تأكل قبل رحيلك. يمكنك أن تكلّمني بينما أحضّر الطعام.

تفحصت جوليا الثلاجة وسألته: «هل تناسبك العجة؟ الهليون؟ والبطاطا؟».

ـ ممتاز. إذا كنت تجيدين الطهو تماماً كالخياطة، فلا بدّ أنني رجل محظوظ.

ـ لا داعي للسخرية...

ـ ماذا تنوين أن تفعلي عند عودتك إلى لندن؟

ـ أريد أن أصبح خيّاطة ولكن عليّ متابعة بعض الدروس أولاً.

ـ وأين ستسكنين؟

ـ آه، في مكانٍ ما...

بما أنه لم يعلّق على قولها وبما أن الصمت دام طويلاً، أضافت: «وجد توماس وروث منزلاً جميلاً، أظنك رأيته. وبالطبع مونيكا وجورج يملكان منزلاً رائعاً...».

ـ وأنت يا جوليا، ألا ترغبين بمنزل وزوج وأولاد أو أنّ تصميم الأزياء هو جلّ ما ترغبين فيه؟

ـ لا أحبّ أن تكلّمني هكذا. لا تهتم بي، بل قل لي فقط ما عليّ فعله لكي تستعيد السيدة بيكيت عافيتها تماماً.

بقي صامتاً لبرهة أمضاها وهو يتأمل وجهها وحاجبيها المرفوعين، ومن ثم أعطاها تعليماته لمساعدة مريضته.

www.elromancia.com

أصغت إليه بإمعان فيما راحت تخفق البيض وتقطّع الفطر، وعندما أنهى كلامه، قالت: «شكراً، كل شيء واضح. ولكن دوّن أسماء الأدوية لكي أتأكد حقاً».

ـ حسناً، وهذا رقم هاتف الطبيب غروت. لا تترددي بالاتصال به عندما تشعرين بأي ضرورة.

ـ هل ستأتي مجدداً لزيارة السيدة بيكيت؟

ـ إذا استطعت، سأفعل. ولكن لديّ ثقة كبيرة بالطبيب غروت. وبمعاونتك أظن أن السيدة بيكيت ستتعافى كلياً في غضون ثلاثة أسابيع. عليّ أن أبحث عن شخص يساعدها، قبل رحيلك.

ثمّ اتجه نحو الباب وقال لها: «هلاّ أعلمتني عندما يصبح العشاء جاهزاً؟ سأجلس قليلاً مع مربيتي».

وغرقت جوليا في أفكارها وتساؤلاتها: كل هذا بسببي، لِمَ لا نستطيع أن نكون أصدقاء؟ ولِمَ يريدني أن آتي إلى هنا إذا كان يكرهني إلى هذا الحد؟ عندما أذهب من هنا، سأحرص على ألا أراه مجدداً. سأجد مكاناً يبعد أميالاً عنه... أرادت أن تجد مكاناً تستطيع أن تكسب عيشها فيه وتجد أصدقاء وربما رجلاً يرغب بالزواج منها.

لا بدّ أن هناك رجال لا يشبهون أوسكار أو البروفسور... ولكن لا أحد يشبهه!

أعدّت جوليا الطعام ثم نادت البروفسور الذي أتى على الفور.

ـ هناك فراولة وقشدة وقد أعددت القهوة.

ـ شكراً.

ودّعت السيدة بيكيت وهي منزعجة قليلاً.

ـ أظن أن كوب عصير سيفيدها قبل العشاء، وأنت أيضاً.

تناول طعامه ثم ذهب لإحضار حقيبته، فقالت له جوليا: «أتمنى لك رحلة موفقة، بعيدة عن كل تعب».

ثم رافقته إلى المدخل مضيفة: «أعدك بأن أهتم جيداً بالسيدة بيكيت».

حدّق فيها قائلاً: «أنا متأكد من ذلك. إعتن بنفسك، جوليا».

انطلق البروفسور بسيارته بينما بقيت جوليا عند المدخل تنظر إلى الممرّ الفارغ. وشعرت أنّ الفراغ يتملكها هي أيضاً.

في الصباح التالي، وصلتها رسائل من مونيكا وروث. وفرحت جوليا لأن المنزل الذي باعوه أمّن لهما هذا القدر من السعادة. طلبت منها مونيكا أن تقصد منزلها وتبقى عندها بعد أن تزور روث. لكن المستقبل بدا لها مبهماً، غامضاً وبعيداً. لقد طلب منها البروفسور أن تبقى ثلاثة أسابيع وستقرّر خلالها ما تنوي فعله.

إن السيدة بيكيت مريضة مثالية، إذ امتثلت لتعليمات جوليا. وقد اهتمت هذه الأخيرة بطهو الطعام لها وبمساعدتها على ارتداء ملابسها وخلعها. وبعد أيام، رافقتها إلى غرفة الجلوس حيث شاهدت التلفاز وتبادلتا الأحاديث وقصت على جوليا تاريخ عائلة البروفسور الذي بهرها. فقالت لها السيدة بيكيت:

ـ إنها عائلة عريقة، ثرية ومحترمة. والد البروفسور جرّاح ولكنه متقاعد الآن ووالدته سيدة طيبة. لديه أخ يعيش في كندا وأختان في نيوزيلندا. جميعهم متزوجون. لقد سافر والداه لزيارتهم وسيغيبان بضعة أشهر.

ـ هل يعيشان في أمستردام؟

ـ لا، لا، عزيزتي بل في دين هاغ. لقد حصل البروفسور على منزل أمستردام. إنه منزل رائع لكنه يحتاج إلى امرأة تديره...

ـ لا أظن أن البروفسور سيواجه صعوبة في إيجاد امرأة تناسبه، فهو ثري ووسيم ومعروف في مهنته.

ـ نعم يا عزيزتي. لكن السيد جيرارد لن يتزوج إلاّ امرأة أحلامه،

www.elromancia.com

هذا ما قاله لي منذ زمن بعيد.

وجدت جوليا في إحدى الصحف اللندنيه التي كانت تتصفحها، إعلاناً أثار اهتمامها.

(مطلوب خياطات ماهرات للعمل في مجال التنجيد ورتق الأقمشة في منزل فخم، شمال انكلترا. الإقامة مؤمنة. على من يهمّه الأمر أن يقدّم المعلومات والمراجع. تبدأ المقابلات في لندن بعد شهر).

قالت جوليا في قرارة نفسها: «هذا تماماً ما أبحث عنه، كما أنه بعيد عن لندن».

وعند المساء جلست لتكتب رسالة...

كان الطقس جميلاً وبدأت السيدة بيكيت تستعيد عافيتها. أمّا جوليا، فبدأت تشعر بلذة الحياة التي تمنت ألاّ تنتهي أبداً.

ومع مرور الأيام تحسّنت حال السيدة بيكيت ولم يعد أمامها سوى أسبوع لتعود إلى حياتها الطبيعية.

مجرّد التفكير بالرحيل كان يحبط جوليا على الرغم من أنها حاولت أن تقنع نفسها بأنّ الوقت قد حان لتعود إلى انكلترا وتتابع حياتها.

فلديها المال الآن، وقريباً ستقرر ما نوّد القيام به...

حلّت إحدى مشاكلها عندما وصلتها رسالة ذات صباح يسألونها فيها أن تحضر إلى لندن بعد ثلاثة أسابيع لإجراء مقابلة بالنسبة إلى عملها في ذاك المنزل الفخم. شرط أن تُحضر نموذجاً عن عملها...

وهذا ما نوت فعله بدون إطلاع السيدة بيكيت على الأمر.

قالت للسيدة بيكيت: «أريد أن أطرز لئلا أشعر بالملل بينما أنت تحيكين الصوف».

قالت لها السيدة بيكيت بحماسة إنّها ستجد علبة خاصة بالتطريز في العلية. ووجدت جوليا مبتغاها وراحت تطرز تحت أنظار السيدة بيكيت التي أبدت إعجابها.

ـ أنت فتاة ماهرة وتعملين كالمحترفين.

كادت جوليا تخبرها بمخططاتها لكنها لم تفعل خشية أن تظن السيدة بيكيت أنها تتشوق للرحيل. وقد تخبر البروفسور بالموضوع وهي لا تريد اطلاعه على مخططاتها المستقبلية.

بعد أيام، أتى البروفسور وتوجه إلى الحديقة حيث كانا يشربان الشاي. رأته السيدة بيكت أولاً فصرخت بلهفة: «سيد جيرارد! رؤيتك تبهج القلب. تعال واشرب الشاي معنا».

انحنى يقبّلها: «تعافيت تماماً. تبدين بصحة ممتازة...».

أومأت إلى جوليا وابتسمت لها: «قامت جوليا بعمل ممتاز والفضل يعود لها».

استأذنت جوليا قائلة: «سأحضر فنجاناً ومزيداً من الشاي».

دخلت المنزل وهي تتساءل. هل سيبقى الليلة هنا؟ لإنه إذا أراد البقاء، عليها ترتيب غرفته وتحضير عشائه.

حضّرت جوليا الشاي وقدّمت له فنجاناً وقطعة كبيرة من الحلوى راح يأكلها بنهم.

ـ هل أنت جائع؟

ـ لقطعة حلوى معدّة في المنزل؟ دائماً. ألا تعرفين أن الطريق إلى قلب الرجل تمرّ بمعدته؟

ـ هل ستبقى؟

إن وجوده يجعلها تشعر بالاضطراب والارتباك.

ـ للعشاء ومن ثم أرحل. سيقودني بيت إلى المطار. أردت أن أطمئن على حال مربيتي التي أرى أنها أصبحت بخير. لكنني سألت الدكتور غروت أن يعاينها في الصباح، فإذا وافقني الرأي، سأعود بعد ثلاثة أيام برفقة امرأة تستلم المهمة عنك. ستفرحين بالعودة إلى ديارك؟

ـ آه، نعم، بالرغم من أنني استمتعت هنا. ولكن السيدة بيكيت

تريد أن تستعيد حياتها الطبيعية. بالمناسبة، السيدة التي ستأتي، هل تعرفها السيدة بيكيت؟

ـ نعم، كانت تعمل لدى أميّ. إنهما صديقتان وستبقى هنا للمدة التي تحدّدها السيدة بيكيت. لقد قلت لها وهي سعيدة بالأمر.

أمسك البروفسور بصينية الشاي ودخل المطبخ وتبعته جوليا بطبق الحلوى. تمنت لو أنه يطلعها على أخبار روث وتوماس والأهم أن يخبرها كيف ستعود إلى المنزل... المنزل؟ وكأن لها منزلاً...

عندما كانوا يشربون الشاي، لم يأتوا على ذكر عودتها والسيدة بيكيت هي من استلم زمام الحديث: «لم أشعر يوماً بأنني أفضل حالاً. لقد اهتمت بي هذه الشابة كما لو كانت ابنتي وقد استعدت الوزن الذي خسرته بفضل طعامها الشهي والمغذّي. تقول جوليا إن وزنها زاد ولكنني قلت لها إنها ممتازة هكذا...».

احمرّت وجنتا جوليا وغضّت الطرف ولكن ليس قبل أن يراها البروفسور.

ـ أنتِ تستدرجينني.

وجدت جوليا بسمته مزعجة بعض الشيء، فاستأذنت متحججة بالعشاء ودخلت المطبخ وأغلقت الباب خلفها.

حضّرت الحساء والعجة والخضار ثم راحت تعدّ تحلية لما بعد العشاء. بعد أن انتهت، هيأت المائدة في غرفة الطعام بدلاً من المطبخ ووضعت الأزهار عليها واستغرقت وقتاً طويلاً في تزيينها. ثم عادت إلى المطبخ فسألها البروفسور من على الباب: «هَلا تكلّمنا الآن، أم بعد العشاء؟».

ـ سيجهز كل شيء بعد عشر دقائق.

ـ الوقت كافٍ. فأنا لن أحتاج إلى أكثر من دقيقتين لأخبرك كيف ستعودين إلى المنزل.

أجابته بصوت بارد ومن دون أن تلتفت إليه: «إذن؟».

ـ سأحضر بعد ثلاثة أيام، أي يوم السبت، برفقة الآنسة تريسب التي أتت إلى هنا سابقاً وهي على علم بمرض السيدة بيكيت. سنغادر بعد الغداء بالباخرة.

ـ حسناً. شكراً.

ـ إلى أين ستذهبين؟

ـ سأبقى عند توماس وروث لفترة ومن ثم أزور مونيكا.

ـ وبعد ذلك؟

وعندما لم يلقَ جواباً، قال لها دونما اهتمام: «آه، هذا ليس من شأني، أليس كذلك؟ إذا كان العشاء جاهزاً سأسكب بعض العصير لكلينا. حسناً، سأذهب لأدخل السيدة بيكيت إلى غرفة الطعام وأحضر العصير».

ـ شكراً.

غادر البروفسور بعد العشاء وشكر جوليا على الطعام اللذيذ الذي أعدّته. صحيح أنه يزعجها أحياناً لكنّها أقرّت أنه يجيد التصرّف بلباقة.

بعد رحيله، جلست السيدة بيكيت في كرسيّها وراحت تخبر جوليا مجدداً عن عائلة ڤان درمايس وبخاصة عن البروفسور: «لطالما عرف ما يريده. يمضي وقته بالتجوال حول العالم ويقضي عطلته بالعمل مع الفقراء والجياع. ومنذ عام تقريباً، ذهب مع فريق إلى البوسنة. والأفضل من هذا كلّه، أنه لا يخبر أحداً بذلك، أتتصورين؟».

وتابعت السيدة بيكيت حديثها: «لا يتخيل أحد أنه هكذا، كما أن حياته الاجتماعية ناشطة. كان باستطاعته أن يتزوج الكثيرات. وعندما أذكّره بالزواج والأولاد، يكتفي بأن يقول لي إنه لم يجد بعد فتاة أحلامه بالرغم من أنّ الكثيرات حاولن الإيقاع به، والله يشهد على ذلك».

ثم حدقت السيدة بيكيت بجوليا من فوق نظارتها: «أجرؤ على

www.elromancia.com

القول أنك أعجبت به، جوليا».

فكّرت جوليا ملياً بجوابها ثم قالت: «حسناً، قليلاً ولكننا لا نعرف بعضنا جيداً. شاءت الظروف أن تجمعنا ولكن عندما أرحل، لن نرى بعضنا مجدداً. فأنا لا علاقة لي بالمستشفيات ولا أعرف أحداً يعرفه».

ـ لا أعتقد أن حسناء مثلك لم تحظَ يوماً بصديق.

ـ بلى، ولكن...

وأخبرتها جوليا عن أوسكار، فأومأت السيدة بيكيت برأسها عندما شرحت لها جوليا سبب هربها من الفندق.

ـ يا له من رجل بغيض! من حسن حظك أن البروفسور كان هناك.

ـ نعم، ساعدني كثيراً وعاملني بلطف... والآن سأحضر لك الحليب قبل أن تأوي إلى الفراش. فيومنا كان حافلاً.

ـ إنّما مثيراً للاهتمام.

استلقت السيدة بيكيت في سريرها وراحت تفكّر في أن جوليا والبروفسور مناسبان ليعضهما البعض وأملت أن يكتشفا ذلك قريباً، مع أن السيد جيرارد اكتشف ذلك على الأرجح...

اتصلت روث في الصباح التالي ورحبّت بجوليا متى شاءت وللمدة التي تريدها ثم قالت لها: «تودّك مونيكا أن تقيمي معها لبعض الوقت، لذا لا تستعجلي مسألة المنزل. لا أعرف متى ستأتين ولكنني في انتظارك هنا».

تملّك الفرح والرضا جوليا، فمستقبلها الغامض يتوضّح شيئاً فشيئاً. أولاً ستقيم عند روث ومن ثم عند مونيكا وأخيراً في مكان عملها: «أنا حرة كالهواء!».

لكنها تمنت لو لم تكن كذلك.

مضت الأيام الثلاثة بسرعة. حضرت جوليا بمساعدة ميڤرو ستين الغرفة للآنسة تريسب وزيّنا المنزل بالأزهار وملآ البراد من جديد. ثم

حزمت جوليا أمتعتها، ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً لأنها لم تشتر أيّ ثياب من البلدة ولكنها ستفعل عند عودتها إلى انكلترا. المبلغ الذي أعطاها إيّاه البروفسور لا يزال كما هو فقررت ألاّ تخيط الملابس من الستائر مجدداً، بل أن تبتاع ثياباً أنيقة. ولكن من المؤسف ألاّ يراها البروفسور وهي ترتديها...

أتى الطبيب لمعاينة السيدة بيكيت وبدا الرضا على محيّاه، كما اثنى على عناية جوليا الممتازة.

استيقظت جوليا باكراً لتحضّر كل شيء قبل وصول البروفسور والآنسة تريسب. أعدّت الطعام ووضعته في الثلاجة فلا بدّ أن الآنسة تريسب ستصل متعبة من الرحلة ولن تستطيع تحضير الطعام.

كما جهزّت القهوة والكعك الذي علّمتها السيدة بيكيت كيف تحضره. وحرصت جوليا على أن تكون هذه الأخيرة بأفضل حالاتها فقدمت لها فطورها وصففت لها شعرها...

توقفت السيارة أمام المنزل فترجّل منها البروفسور وفتح الباب للآنسة تريسب. إنها تماماً كما توقعتها. امرأة طويلة القامة، نحيلة، سوداء العينين، بسمتها دافئة وودودة وتنمّ عن نفسية طيّبة. ولا بد أنها كذلك وإلاّ لما سمح لها البروفسور بأن تكون إلى جانب مربيته.

دخل الجميع غرفة الجلوس وتوجهت جوليا إلى المطبخ لتحضر القهوة. وعادت لتجد المرأتين جنباً إلى جنب تتبادلان التحيات والأحاديث بينما راح البروفسور يتأمل الحديقة عبر النافذة.

وعندما رآها قال لها: «سنرحل بعد الغداء مباشرة. هل أنت جاهزة؟».

وتساءلت عما ستكون ردة فعله إن أجابته بالنفي، فمن الواضح أنه يتوقع أن يجدها جاهزة وحقيبتها في يدها.

ـ نعم، متى سنتناول الغداء؟

www.elromancia.com

ـ عند الظهر، لكي تتمكني من توديع الجميع.

ـ تفضل واشرب قهوتك.

وبعد أن ارتشف الجميع قهوته، صعدت الآنسة تريسب إلى غرفتها لتضع أمتعتها ثم توجهت إلى المطبخ برفقة جوليا لتتأكد من موضع كل شيء. وقبل أن تعود إلى غرفة الجلوس، وضعت يدها على ذراع جوليا قائلةً:

ـ لقد اعتنيت جيداً بالسيدة بيكيت ولو كنت مكانك لما قمت بذلك أفضل منك. وددت الحضور ما إن طلب مني البروفسور ذلك ولكنني أصبت بالزكام وعجزت عن المجيء. لكن البروفسور محق بشأنك، فأنت تساوين وزنك ذهباً. هو لا يخطىء أبداً في حكمه على الأشخاص فأنت تماماً كما وصفك.

وتمنت جوليا لو تعرف ما قاله عنها.

كان طعام الغداء ممتعاً ولكنهم لم يتأخروا كثيراً بتناوله. وعندما انتهوا، أحضرت جوليا حقيبتها وودّعت السيدة بيكيت التي قالت لها والدمع يترقرق في عينيها: «لكنك ستأتين مجدداً، أليس كذلك؟».

أجابتها جوليا أنها قد تعود عندما تستقرّ في منزلها الجديد.

ـ قولي للسيد جبرارد أن يحضرك لتمضية يومين أو أكثر.

أومأت جوليا برأسها ثم صافحت الآنسة تريسب وركبت السيارة التي انطلقت بهما.

لم يتكلّم البروفسور كثيراً، لكنّ الأسئلة التي كانت تدور في رأس جوليا كثيرة.

ـ متى يبحر المركب؟

ـ غداً عند الساعة الثانية ويصل إلى هارويش عند حلول المساء.

ـ غداً؟ تقصد اليوم؟

ـ بل أقصد غداً. سنمضي الليلة في أمستردام.

وانتفضت جوليا قائلة: «لكنني سأعود الليلة».

ـ لِمَ تعظّمين الأمور؟ لن تتغير مشاريعك بسبب بضع ساعات إضافية. أمّا أنا فلديّ حالة طارئة وعليّ البقاء حتى الغد.

ـ كان عليك أن تعلمني. لا أنوي البقاء في أمستردام. وأين سأقيم؟

ـ في منزلي. ولا تقلقي لن أكون هناك. ويم ومدبرة منزلي سيهتمان بك.

ـ لِمَ لن تكون هناك؟

ـ لدي عملية أجريها في المستشفى هذا المساء وعليّ البقاء هناك إلى أن تستقرّ حاله. هل ارتحت الآن؟

ـ أنا آسفة، كنت فظة معك ولكن لو أخبرتني عندما سألتك لما تفوهت بهذا الكلام.

لم يعلّق على قولها فأضافت قائلة: «ألن تكون متعباً لكي تسافر غداً؟».

ـ لا.

ردعها جوابه الجاف هذا عن التفوه بأي كلمة أخرى.

لكنها عادت وسألت: «لماذا نتشاجر؟».

ـ لسنا نتشاجر، بل نرسل شرارات لبعضنا البعض.

ثم نظر إليها وابتسم: «وهذه بداية جيدة».

كادت تسأله عن قصده لكنها عدلت عن رأيها. وساد صمت لطيف بينهما إلى أن وصلا إلى أمستردام.

وعندما فتح ويم الباب لهما واستقبلها كأنه يعرفها منذ زمن بعيد، شعرت أنها في منزلها.

كلّمه البروفسور، فأومأ برأسه ليعود برفقة امرأة مسنّة أصغت إلى كلام البروفسور وابتسمت لجوليا، ثم أشارت إليها بأن تتبعها.

قال البروفسور: «إنها جيتسك، مدبرة المنزل. رافقيها، سترشدك

www.elromancia.com

إلى غرفتك. ولا يزال أمامنا وقت كافٍ لشرب الشاي».

تبعت جوليا مدبرة المنزل إلى الطابق العلوي حيث حضّرت لها غرفة مريحة تضم سريراً وطاولة وكرسي وسجادة ناعمة بالإضافة إلى خزانة تتّسع لثياب أكثر بكثير ممّا قد تشتريه جوليا يوماً.

سرّحت جوليا شعرها ثم نزلت إلى غرفة الجلوس حيث كان البروفسور بانتظارها.

كان الشاي موضوعاً على طاولة صغيرة بين كرسيين. وعندما دخلت جوليا الغرفة، وقف البروفسور وهو يقدّم لها كرسياً قائلاً: «سيؤنسك هذه الليلة».

جلست وأمسكت إبريق الشاي. ستفتقد هذه الأناقة والرفاهية التي اعتادت عليها خلال الأسابيع الأخيرة، وتملّكتها الكآبة لمجرد التفكير في هذا الموضوع.

شرب البروفسور فنجاناً وتناول الكعك ثم نهض استعداداً للرحيل.

ـ أراك غداً. سيعرّفك ويم على المنزل إذا أردت. واطلبي منه ما شئت.

وقف أمامها وراح ينظر إلى وجهها المضطرب.

ـ أظنني أرغب في هذا، فالمنزل رائع.

إن لغة ويم الإنكليزية أسوأ من لغتها الهولندية لكنهما تمكّنا من التفاهم. أخبرها أنه يعمل لدى عائلة البروفسور منذ خمسين عام أو أكثر وأنه يحبهم كثيراً. تنقلا من غرفة إلى غرفة وجايسون يرافقهما، وراح ويم يدلها على أعمال الجص في السقف والستائر المطرزة وغيرها من الأشياء الفخمة.

تمنت جوليا لو أن البروفسور هنا لتخبره كم أن منزله رائع. كان المنزل شاسعاً بغرفه العديدة التي تفضي إلى حديقة. وقررت جوليا أن

تتجول فيها في صباح اليوم التالي قبل عودة البروفسور.

وصعدا إلى العلية حيث رأت أثاثاً قديماً وألعاباً صغيرة ومهد طفل بالإضافة إلى بعض الصور القديمة.

انحنت والتقطت إحداها. إنها صورة صبي صغير، لم تضطر للسؤال عن هويته. أعادتها إلى مكانها إذ شعرت أنها تتطفل على حياة البروفسور الخاصة. كان يبتسم في الصورة، تلك الابتسامة التي لم تتغيّر إطلاقاً...

تناولت العشاء في غرفة صغيرة. وكان مؤلفاً من الحساء وصلصة البرتقال والبطاطا بالإضافة إلى القهوة، والبسكويت.

أعطت قطعة منه لجايسون وسمحت لنفسها بأن تحلّق في عالم الأحلام لكنها استفاقت في الحال. كيف لأفكارها أن تحملها بعيداً بسبب اهتمامه بها...

ثم أخلدت إلى النوم وعندما استيقظت في الصباح، أخذت دوشاً وارتدت ثيابها قبل أن تنزل إلى الطابق السفلي حيث قال لها ويم إن الفطور سيجهز بعد نصف ساعة.

لم يكن البروفسور قد عاد بعد، فخرجت إلى الحديقة وجالت فيها برفقة جايسون. وجلست بين الأزهار والورود الملوّنة وتمنت لو تبقى هناك، لكن الفطور بانتظارها.

عادت إلى الداخل فرأت البروفسور عند نافذة الغرفة المؤدية إلى الحديقة. ألقى عليها تحية ودودة وسألها عما إذا نامت جيداً. كان يرتدي ثياباً أنيقة ولكن التعب بدا جلياً على محيّاه.

ـ هل نمت؟

ـ بما يكفي.

وابتسم فتذكرت على الفور الصبي الذي رأته في الصورة.

توجها نحو غرفة الطعام حيث تناولا فطورهما بصمت إلى أن

www.elromancia.com

سألت جوليا: «هل نجحت العملية؟ أو أنك تفضّل عدم التكلّم في الموضوع؟».

لم يجب على سؤالها في الحال فأضافت بسرعة: «حسناً، لست مضطراً لأن تخبرني. لست فضولية».

ـ لقد نجحت تماماً، ولا أمانع أن تسألي، جوليا. أظنني كنت سأحزن لو لم تفعلي. يجب أن يكون الاهتمام متبادلاً.

ـ آه، حقاً.

وشعرت جوليا بأن الأمور تسير بسرعة تجعلها عاجزة عن فهمها.

ولكن شعوراً جميلاً تملّك كيانها. وتوقعت أن يمضيا معاً بقية النهار.

* * *

٦ ـ أشواك على درب الحب

ما توقعته جوليا في الصباح لم يحدث لسوء الحظ، إذ قال لها البروفسور: «علينا أن نرحل بعد الغداء مباشرةً. أمّا الآن فسأذهب إلى المستشفى وسأصطحب جايسون معي كي يتنزه قليلاً. قد ترغبين في هذه الاثناء باستكشاف المنطقة أو زيارة السوق؟ لكنني سأطمئن أكثر لو بقيت هنا...».

أجابته مبتسمةً: «سأبقى في الحديقة وأتشوّق لعودتي إلى لندن».

رحل البروفسور برفقة جايسون بينما جلست هي في الحديقة وراحت تتصفح المجلات والصحف. وفكرت في لو أنها رافقته، لانتظرته في السيارة أثناء وجوده في المستشفى ثم رافقته وجايسون في نزهتهما. لكن يبدو أنه يتجنبها عمداً...

ـ لا أهتم البتة!

قالت جوليا هذا ثم أمسكت مجلة وقرأتها من صفحتها الأولى حتى الأخيرة، ثم تناولت مجلة هولندية وراحت تحاول أن تفهم بعض الكلمات إلاّ أنّ ذلك كان مضيعة للوقت. في هذا الوقت، عاد البروفسور وتوجّه إليها: «آه، مذهل. أنت تحاولين تحسين لغتك الهولندية».

فأجابته ببرودة: «ليس لدي لغة لأحسّنها».

ثم تابعت قائلة: «آمل أنّ يكون مريضك قد تحسّن».

www.elromancia.com

جلس بالقرب منها وارتمى جايسون على العشب بينهما: «نعم. حالفه الحظ كثيراً. لقد تركته الآن بين أيدٍ أمينة».

ـ هل هو شخصية بارزة؟

واستدارت نحوه لتضيف: «هل طلبوك خصّيصاً لإجراء العملية؟».

ـ نعم ونعم. هل ستأسفين لمغادرة هولندا؟

ـ نعم، بالرغم من أنني لم أرَ شيئاً منها. يؤسفني الابتعاد عن المنزل الريفي وعن هذا المنزل الرائع، لكنها ستبقى ذكريات رائعة لن تفارق ذهني.

ـ هل ترغبين بالعودة يوماً ما؟

ـ ربما.

وضعت جوليا يدها على جايسون وراحت تداعبه، فلعق يدها. ثم توجهت إلى البروفسور قائلة: «سيشتاق إليك جايسون».

ـ نعم وسأشتاق إليه أنا أيضاً. ولكنني سأعود قريباً إلى هنا وهو معتاد على ذهابي وإيابي.

وألقى نظرة على ساعة يده قبل أن يضيف: «علينا أن نتناول طعام الغداء الآن».

بدا لها أن النهار قصير جداً ويمّر بسرعة. قد لا يكون البروفسور معجباً بها ولكن ذلك لا يحول دون استمتاعها برفقته. وظنت أنها ليست معجبة به أيضاً لكنها لم تعد واثقة من شعورها الآن.

في طريق العودة إلى لندن، لم يتحدّثا كثيراً، فلم تسنح لها فرصة التعرّف إليه بشكل أفضل.

وعلى متن الباخرة، استأذن منها وراح يراجع أوراقه، بعد أن تأكد من أنّ بين يديها مجلة تتصفحها وفنجان شاي.

وبينما كانت تقرأ، تساءلت عمّا يفكر فيه البروفسور.

ولو عرفت أن أفكاره كلّها تدور حولها لذهلت حقاً.

فعلى الرغم من ثقته بنفسه، وجد البروفسور نفسه حائراً واعترف في قرارة نفسه أنه وقع في حبّها ويريدها زوجة له. لكنّها لم تبدِ أي اهتمام برفقته مع أنه يعتقد أنه يعجبها أكثر مما يبدو عليها.

عند عودته إلى لندن، سيتسنى له الوقت ليراها دائماً. أمّا في الوقت الحاضر فعليه أن يعتمد طريقة اللامبالاة هذه، فهذا هو الأسلوب الوحيد الذي من شأنه أن يجعله يكبت عواطفه...

تحدّثا عن الطقس والريف وحالة الطرقات في طريقهما إلى لندن، بالإضافة إلى غيرها من المواضيع العامة، إلى أن وصلا أخيراً إلى منزل توماس وروث الجديد.

استقبلا بحفاوة إلاّ أن البروفسور لم يبقَ طويلاً. تبادل بعض الكلمات مع روث وقال لها إنه سيرى توماس صباحاً في المستشفى، ثم عاد إلى سيارته الفخمة غير مكترث بكلمات الشكر التي راحت جوليا تتلوها على مسامعه. ففكرت أنه يستحيل عليه أن يكون أبعد ممّا هو عليه. كانت السيدة بونس، مدبرة المنزل بانتظاره مع الكلبين. إنها امرأة متوسطة العمر نشيطة ومخلصة له. أمّا استقبال ويلف وروبي فتميز بالحفاوة.

ركن سيارته في المرآب خلف المنزل ووعد أن يعود للعشاء ثم أخذ الكلبين في نزهة.

خيّم السكون على الشوارع... الأمسيات الصيفية في لندن تتميز بروعة لا تضاهى. وشرع البروفسور يفكّر في منزله في هولندا فأدرك أن عليه الاتصال بالسيدة بيكيت عند عودته، وتساءل عما إذا كانت جوليا تفكر فيه هي أيضاً. لقد أعجبها المنزل في أمستردام، وهي خير امرأة قد تدخل حياته...

وبالرغم من وداعه، توقعت جوليا أن تراه مجدداً خلال إقامتها مع

روث، ولكن توماس لم يجد ما يقوله سوى إنّ البروفسور يعمل كثيراً.

وتساءلت روث من وقت لآخر عن سبب غيابه أو انقطاع اتصالاته. إلاّ أن جوليا بدت رائعة، مفعمة بالحيوية والنشاط، راضية بحياتها. لكن ثمة أمر ما...

وافقت روث جوليا على فكرة شراء ثياب جديدة. وعندما خرجت هذه الأخيرة، اتصلت روث بمونيكا: «تبدو بحالة جيدة إلاّ أن ثمة خطب ما. هل تظنين أنها التقت أحداً ما في هولندا؟ ستذهب لزيارتك.. حاولي استكشاف الأمر».

وبينما استعدت روث للخلود إلى النوم، سألت توماس: «هل قال جيرارد أي شيء عن جوليا؟».

ـ قال فقط إنها ساعدت السيدة بيكيت كثيراً. سيذهب إلى غلاسغو غداً ليمضي يومين هناك.

التفت إليها توماس وسألها: «لِمَ تسألين؟».

ـ لا شيء حبيبي، ولكن أظنهما لا ينسجمان، أليس كذلك؟

أوى توماس إلى فراشه قائلاً: «هذا سؤال لن أوجّهه إلى أيّ منهما».

كان لا يزال أمام جوليا عشرة أيام قبل أن يحين موعد المقابلة بشأن العمل وبدل أن تخبر روث عن الموضوع، ذهبت برفقتها لشراء الملابس.

قصدتا سلسلة من المتاجر وأنفقت جوليا أكثر ممّا كانت تنوي، إلاّ أن ما ابتاعته يستحق العناء: فساتين أنيقة وقمصان رائعة وثياب صيفية بالإضافة إلى فستان حرير يليق بأفخم السهرات. فكّرت في أنها لن ترتديه يوماً بل سيبقى معلقاً في الخزانة إلى أن تتآكله السنون ويصبح طيّ النسيان. ولكنّ أملاً لاح لها، فقد يدعوها البروفسور على العشاء في إحدى الأمسيات...

بيد أن ذلك بعيد الاحتمال، وإن حصل ودعاها، فقد ترفض دعوته... كما اشترت الملابس الداخلية والأحذية ومعطفاً وسترة مناسبة للعمل في حال حصلت عليه... بعد ذلك، انتقلت للإقامة مع جورج ومونيكا لفترة.

حظيت جوليا بمتّسع من الوقت لتتعرف إلى منزلهما وتجول في البلدة وتستمع إلى عظات جورج. وأخبرتها مونيكا بكل فخر أن لديه رعية كبيرة، أمّا هي، فتدير اتحاد الامهات ومدرسة الأحد. ويبدو أن حياة الريف تناسبها تماماً، لا سيما وأنهما يملكان الآن ما يكفي من مال لتجديد منزلهما.

عديدة هي الأمور التي تحدثا عنها لذا بالكاد لاحظ أحد منهما أنها لم تأتِ كثيراً على ذكر هولندا أو البروفسور.

وعادت جوليا إلى منزل روث وارتدت أحد الفساتين التي اشترتها ثم ذهبت إلى موعد العمل المحدّد. أجريت المقابلات في فندق صغير. وعندما دخلت جوليا، رأت خمس نساء أخريات، يتأبطن نموذجاً عن عملهنّ الحرفيّ. صمتن برهة ليحدّقن فيها ويلقين التحية عليها ثم عدنَ فتابعن الحديث. إحداهن امرأة مسّنة ابتسمت لها، أمّا الآخريات فشابات أنيقات المظهر والملبس. وفكّرت جوليا في أن فرص الحصول على العمل قليلة جداً بوجود منافسات واثقات من أنفسهنّ إلى هذا الحدّ. لعلّهن درسن في معهد للخياطة وتخرّجن بشهادات مميزة.

دخلت الواحدة تلو الآخرى ثم خرجن والرضا بادٍ على محيّاهنّ، وتبعتهنّ المرأة المسنّة مرتبكة. وعندما خرجت لم تتفوه بكلمة إنما بادرت جوليا بابتسامة أخرى وهي تدخل بدورها.

رأت ثلاث سيدات جالسات خلف طاولة ألقين عليها التحية مبتسمات ثم دعونها إلى الجلوس. بدأت امرأة في متوسط العمر تشبه المعلمات الصارمات بطرح الاسئلة، وسألتها عن سبب تقدّمها لهذا

العمل.

لم يكن هذا السؤال متوقعاً ولم تجد جوليا متسعاً من الوقت لتفكر بخطاب تلقيه عليهن، فأجابت بعفوية: «أردت الابتعاد عن لندن».

وتمنت لو أنها لم تعطِ هذا الجواب، فأضافت: «كما أنني أحب الخياطة والتطريز».

وتبادلت النساء الثلاث النظرات في ما بينهنّ: «هلاّ أريتنا عملك؟».

وضعت جوليا القماش المطرز بالحرير الذي زوّدتها به السيدة بيكيت على الطاولة، ثم جلست مكانها مجدداً.

فتناقلته أيدي السيدات اللواتي فحصنه على ضوء الأنوار وتحت الزجاج المكبّر. سألنها عن القطب التي استعملتها وعن سبب تطريزها هذا القماش.

ـ لم يكن لدي شيء آخر. كنت في الريف والمحال التجارية تبعد أميالاً عن المنزل فاستعملت ما وجدته في العلّية.

ـ هل تعرفين أنّ هذا العمل مؤقت؟ يقتضي تجديد ستائر قديمة جداً، وهو عمل ممل يدوم ساعات طويلة والأجر ضئيل. المأكل والمسكن مؤمنان طبعاً. ونحن على استعداد لتوظيفك ضمن هذه الشروط.

لم تترك لنفسها مجالاً للتفكير بل أجابت شاكرة: «شكراً، يعجبني العمل».

ـ سنؤكد لك ذلك بموجب رسالة تجدين فيها التعليمات للوصول إلى المنزل. سوف تقصدين كارليسل ومن ثم هالتويسل حيث يلاقيك أحدهم ليقودك إلى مكان العمل. هل يمكنك السفر غداً أو بعد غد؟

ـ سأكون جاهزة بعد يومين.

عند عودتها إلى غرفة الانتظار، رأت السيدة المسنّة التي بادرتها

مترددة: «انتظرتك، اعتقدت انهنّ سيوظفنك. أنا حصلت على عمل هناك».

ـ حقاً؟ يسرّني ذلك. وأنا أيضاً. يمكننا أن نسافر معاً. هل تعرفين تلك المنطقة؟

ـ لقد ولدت فيها، ثم جئت إلى لندن مع زوجي. لكنه توفي وأودّ العودة إلى ديارِي.

ـ آسفة بشأن زوجك، أنا أريد الابتعاد عن لندن أيضاً.

وقفتا عند مدخل الفندق فسألت جوليا: «هل لديك هاتف؟ ربما نلتقي في المحطة؟».

أومأت السيدة برأسها ثم أجابت: «أدعى جيني وودستوك ويسرّني أن نسافر معاً».

لم تجد جوليا صعوبة في اقناع روث بأن هذا العمل هو ما تمنّت الحصول عليه وقالت لها: «إنه عمل مؤقت. فعندما ننتهي من التصليحات، لن يحتاجوا إلينا. عندئذٍ يمكنني أن أقرر أين سأسكن وماذا سأفعل».

أجابتها روث بعدم ثقة: «نعم، عزيزتي».

لكنها كانت متأكدة من أن ثمة خطب ما. لعل جوليا تعرّفت إلى شخص ما في هولندا. وأوشكت أن تسألها إلاّ أن جوليا بادرتها قائلة: «روث، لا تدعي البروفسور يعلم بمكان وجودي... لا تنظري إليّ هكذا. لكنني أخشى أن يظهر مع عرض عمل أو ما شابه..».

على الرغم من أنّ الحجة لم تكن مقنعة تماماً، فكّرت روث قليلاً ثم قالت لشقيقتها: «لن أتفوه بكلمة. يبدو هذا العمل ممتعاً. صحيح أنه بعيد ولكن لا بدّ أن ذاك المنزل القديم رائع ومليء بالتحف والكنوز، كما أنك ستتعرفين إلى أشخاص كثر».

وقبل يوم من رحيلها، حضر البروفسور. كانت روث عند مزيّن

الشعر، أمّا جوليا ففي المطبخ تحضّر الغداء. وعندما قرع الباب، ظنت أنه ساعي البريد، إلاّ أن ظهور البروفسور أمامها ببسمته الساحرة خطف أنفاسها. أرادت أن تراه مرة أخيرة لأنها نوت أن تنساه إلى الأبد ما إن تفارق لندن. ولكنها تمنّت في الوقت عينه لو رحلت قبل مجيئه.

ـ آه، مرحباً. هل تريد روث؟ لقد خرجت...

ـ جئت لأراك أنت.

دعته عندئذٍ للدخول، قائلة: «إنني أحضر طعام الغداء».

واتجهت نحو المطبخ. عليها أن تهدأ، ولكنها تساءلت لِمَ عليها أن تهدأ؟

بادرها البروفسور بالسؤال: «هل أنت سعيدة بالعودة إلى ديارك؟».

أجابته وهي تخفق البيض دونما النظر إليه: «نعم، نعم أنا سعيدة».

ـ هلاّ قبلت دعوتي على العشاء مساء غد؟

فاجأها سؤاله لدرجة أن الوعاء سقط من يديها: «غداً؟ لا، لا شكراً».

ونظرت إليه وتمنت من صميم قلبها لو أنها لا تبتعد عنه إذ أدركت أنها تحبه، وأنها عاجزة عن تحمل عدم رؤيته مجدداً.

فقالت له: «أنا آسفة، لا يمكنني... لم أشأ أن أقول لك إنني راحلة غداً صباحاً...».

ـ لم تشائي أن تقولي لي؟

وبدا صوته ناعماً وهادئاً كوجهه.

ـ لا، لا...

تكلمت بصوت مرتفع ثم أضافت: «ولِمَ عليّ أن أفعل؟».

ـ فعلاً، لِمَ عليك أن تقولي لي؟

ثم ابتسم وأضاف قائلاً: «آمل أن تشعري بالسعادة».

ـ طبعاً، سأشعر بالسعادة.

وتمنت لو يرحل على الفور فتغرق في بحر دموعها.

وهذا ما فعله بالضبط بعد أن استأذنها بلطف وخرج بمفرده.

وانهمرت الدموع على خدّيها وعجزت عن رؤية أي شيء أمامها سوى وشاح من الدمع الساخن. جلست وغطت وجهها بجسم مافن الذي يحبّها، فقد أنبأته غريزته أن جوليا ليست سعيدة وأنها سترحل. لكنه سعيد حالياً برفقة روث.

استلقى مافن على الأرض بينما ذهبت جوليا لتغسل وجهها ثم تعود لتتابع تحضير الطعام.

عند عودتها، قالت روث: «لست مضطرة للرحيل، عزيزتي. تعلمين أن بإمكانك البقاء هنا طالما شئت. وإذا أردت الابتعاد عن لندن، فستسعد مونيكا باستقبالك في منزلها».

قالت لها جوليا: «أتى البروفسور وأخبرته أنني راحلة غير أنه لا يعرف إلى أين سأرحل. لا تقولي له، روث».

ـ طبعاً لا، عزيزتي.

ثم سألتها فجأةً: «وهل أراد أن يعرف؟».

ـ لا. حتى أنه لم يودّعني.

لم تقل روث لجوليا إن البروفسور لا يقول شيئاً لا يعنيه، انّما راحت تحدثها عن رحلة الغد.

كانت جيني وودستوك تنتظرها في المحطة، سعيدة ومتحمسة لفكرة العودة إلى ديارها. تكلّمت عن ذلك بهدوئها المعتاد، وكانت جوليا ممتنّة لها لأنها أبعدتها عن الأفكار التي راودتها وشغلت بالها حتى وصلتا إلى كارليسل وهالتويسل.

ولكنّ رحلتهما لم تنتهِ بعد. كان بانتظارهما رجل في متوسط

www.elromancia.com

العمر يقود سيارة لاندروفر، انطلقت بهم لساعات وساعات في الطرقات الريفية إلى أن انعطف السائق أخيراً فتمكنتا من رؤية مقصدهما. قصر كبير تحيط به بعض الأشجار ويبدو كئيباً ومنعزلاً. ولكن عند الاقتراب منه، لاحظت جوليا عدداً من السيارات المركونة أمامه وأشخاصاً كثر يدخلونه ويخرجون منه.

قالت لها السيدة وودستوك: «إنه مفتوح للجمهور مرتين في الأسبوع».

ثم قال لهما السائق: «سأقودكما إلى أحد الأبواب الجانبية وستهتم بكما مدبرة المنزل».

وجدته جوليا فظاً وأملت أن تكون مدبرة المنزل أكثر ودّاً.

وتحققت آمالها، فالسيدة بايتس لطيفة، وهي امرأة سمينة، تتحلّى بابتسامة عريضة وبعينين برّاقتين. قدّمت لهما الشاي ثم قادتهما عبر فناء واسع.

ـ معظم الخياطات يأتين من البلدة. ستمكثين هنا سيدة وودستوك.

وفتحت باب إحدى الغرف في بناء خارجي، مضيفة:

ـ إنها غرفة صغيرة مع حمام وموقد وما إلى هناك.

ثم نظرت إلى جوليا قائلة: «انتظري هنا، آنستي».

وعادت بعد دقائق لتقول لها: «غرفتك في الأعلى. المكان مخصص للتخزين لكنّ أحداً لن يزعجك».

صعدت السلم وفتحت الباب فتبعتها جوليا. بدت الغرفة واسعة تتوسطها نافذة عريضة وقد جهّزت بسرير وطاولة وخزانة وكرسيين بالإضافة إلى كرسي هزاز، وتنتهي بباب آخر يؤدي إلى غرفة الحمّام.

ـ ستأكلان في المنزل الكبير ولكنني سأحضر لكما الشاي والحليب لكي تشربا في غرفتكما. سيدعونكما بعد نصف ساعة تقريباً، فتعاليا عندي وسأقودكما.

بقيت جوليا وحدها تتأمل المكان. سرّها أن يكون لها غرفة خاصة بها، بعيداً عن المنزل. وعندما رتبت أمتعتها في مكانها، بدت الغرفة وكأنها منزلها حقاً. بدّلت ملابسها ثم خرجت بحثاً عن جيني، التي كانت سعيدة كذلك: «هذا المكان أشبه بفندق ولست سوى على بعد أميال قليلة من مسقط رأسي».

تبعتا مدبرة المنزل عبر ممرّات لا تنتهي ثم صعدتا السلالم برفقتها ودخلتا غرفة كبيرة مضاءة، تطل نوافذها العديدة على مدخل المنزل.

كانت المرأة الصارمة التي أجرت المقابلة معهما بانتظارهما وأمضت الخياطات الساعة التالية يستمعن إلى ما عليهنّ فعله. ستهتم جوليا بأمر سجادة حائط كبيرة.

أشرف النهار على نهايته فرحلت الخياطات الأخريات. أمّا هي وجيني فدخلتا غرفة في الطابق السفلي حيثُ كان الشاي بانتظارهما، بالإضافة إلى البيض واللحم والخبز والزبدة والمربى والكعك.

تناولت جوليا طعامها بشهية وتساءلت عما إذا كانت هذه الوجبة الأخيرة لليوم لأن الساعة لم تناهز السادسة.

وعندما انصرفتا عن الطاولة، قالت لهما امرأة: «أنتما جديدتان، أليس كذلك؟ ستحصلان على الطعام والشراب عند الثامنة. بعضنا يعيش في البلدة ولكن اثنين منّا يقيمان في المنزل».

فكّرت جوليا في قرارة نفسها وهي تخلد إلى النوم في ساعة متأخرة أنّ كل شيء سيجري على ما يرام. فالجميع لطيف معها، ولديها غرفة جميلة وطعام شهي، كما أنها تعمل في المجال الذي تحبه.

ولكنّ أفكارها الأخيرة رست على جيرارد. لا بدّ أنه سينسى أمرها. فعندما ستعود إلى لندن، سيكون قد رحل إلى هولندا وتزوج هناك.

تابع البروفسور عمله كالمعتاد ولكنه أراد أن يعرف إلى أين رحلت

جوليا.

قبل أيام التقى روث وسألها عن جوليا. فاحمرّت وجنتاها لأنها تتشوق لإخباره ولكن وعد الحر دين...

ـ إنها سعيدة للغاية...

ـ رائع! وما هو نوع عملها؟

لا ضير من الإجابة عن هذا السؤال.

ـ خياطة أنسجة قديمة.

ـ وأين هي؟

علا الاحمرار وجه روث مجدداً وأجابت: «سألتني ألاّ أخبرك وقد قطعت لها وعداً بذلك».

ـ إذن لن أزعجك. آمل أن تستمتع. من حسن حظها أنها وجدت عملاً حال عودتها.

ـ آه، لم يكن الأمر مفاجأة. قالت لي إنها تقدّمت للعمل وهي في هولندا مع السيدة بيكيت. رأت الإعلان في إحدى المجلاّت.

ها قد زوّدته بمفتاح أو اثنين لحلّ لغز جوليا. لكنه انتقل إلى موضوع آخر: «كيف حال جورج ومونيكا؟ هل تزورانهما الآن وقد استقريتما هنا؟».

أخبرته روث عن الحمام الجديد والتدفئة المركزية وقد سُرّت لعدم إفشائها سرّ جوليا.

وفي اليوم التالي، اتصل البروفسور بالسيدة بيكيت وأصغى باهتمام إلى كلامها عن تحسّن حالها. وعندما توقفت قليلاً لتستعيد أنفاسها، سألها: «ما هي المجلات التي تقرئينها؟».

ـ يا له من سؤال غريب! المجلات الانكليزية طبعاً، تصلني أسبوعياً. لمَ تريد أن تعرف سيد جيرارد؟

ـ هل تعلن إحداها عن وظائف شاغرة؟

ـ واحدة فقط، «المرأة».

ـ هل وصلتك أخبار من جوليا؟

نظرت السيدة بيكيت عبر النافذة وارتسمت بسمة على ثغرها قبل أن تجيب: «نعم، باركها الله. لقد أرسلت لي رسالة طويلة لكنها نسيت أن تدوّن العنوان. تقول إنها وجدت عملاً جيداً في مجال الخياطة والتطريز. إن الطابع البريدي هو من كارليسل. إنه بعيد جداً لكنني أظن أنها تزور بعض الأصدقاء».

ـ ربما.

وجدت جوابه غامضاً وأقفلت الخط وهي تبتسم ثم توجهت إلى الآنسة تريسب قائلة: «درب الحب الحقيقي وعرة ومحفوفة بالأشواك».

هذا صحيح، إلاّ أنه لن يحول دون بذل البروفسور جهده لاجتيازه. فطلب من سكرتيرته أن تصوّر له إعلانات العدد السابق من مجلة «المرأة» وراح يبحث فيها إلى أن وجد ضالّته...

تغيّرت الحياة ومعانيها بالنسبة إلى جوليا الآن، فعملها مثير للاهتمام وزميلاتها لطيفات معها. هناك حديقة كبيرة تتنزه فيها عندما تنتهي من عملها في المساء، وسيارة لاندروفر كبيرة تنقل الموظفات إلى البلدة أو إلى هالتويسل أثناء أوقات فراغهنّ. لكن، على الرغم من هذا كله تملّكتها الوحدة. وجدت عملها مثيراً وأعجبها الريف كثيراً، وإن لم تندم على مغادرتها لندن، إلاّ أنه استحال عليها نسيان جيرارد. فراحت تعلّل النفس بأنه نسيها إلاّ أن ذلك لم يردعها عن حبّه.

اعتادت النهوض باكراً والتنزه في الحديقة قبل موعد الفطور. وقد أعجبها ذاك السكون الذي يلفّ المكان فلا يخرقه سوى زقزقات العصافير والأصوات الآتية من مزرعة القصر.

إنه مكان شاسع جداً بالكاد تعرّفت على جزء منه، أمّا أصحاب القصر فلم ترَ أيّاً منهم.

كان قد مضى على إقامتها في هذا المنزل قرابة الأسبوعين، عندما استيقظت ذات صباح يوم رائع، واستحمت وارتدت ثيابها ثم شربت كوب شاي وغادرت غرفتها.

اجتازت فناء القصر المقفر واتجهت نحو الحديقة التي تزيّنها بحيرة رائعة ومجموعة أشجار كثيفة. إن هذا المشهد متعة للنظر في صباح جميل كهذا.

تنزهت قليلاً ثم جلست على جذع شجرة وأطلقت العنان لأفكارها. راحت تفكّر بأنها ستعود إلى لندن عاجلاً أم آجلاً وتبحث عن شقة صغيرة وتستغّل موهبتها. قد تتوظف في أحد المتاحف أو الصالات الفنية أو القصور. وعلى الرغم من أنها لن ترى البروفسور مجدداً، إلاّ أنها ستكون قريبة منه على الأقلّ...

أجفلت جوليا عند سماع أحدهم يلقي عليها التحية. فالتفتت لترى شاباً وسيماً، يرافقه كلبان لاينفكّان يهزّان بذيليهما.

ـ لا بدّ أنك إحدى الخياطات. سمعت أمي تقول إنها استخدمت خياطة أو اثنتين جديدتين.

ثم حيّاها مضيفاً: «مانتون. كولين مانتون».

ابتسمت له جوليا وقد أعجبت بطريقته الودودة: «غرايسي، جوليا، كيف حالك؟».

تصافحا ثم سألها: «من أين أنت؟».

ـ لندن.

ـ المسافة بعيدة عن هنا. هل يعجبك المكان؟ إنه مختلف حقاً.

ـ إنه بمثابة الجنة مقارنة مع المكان الذي كنت أعيش فيه في لندن.

ـ وهو كذلك.

وتوّجها نحو المنزل وهما يتابعان حديثهما: «لكنه لا يروق للجميع فهو هادىء جداً».

ـ لهذا السبب بالذات يشبه الجنة.

وعندما بلغا الفناء، استأذنت منه قائلة: «عليّ أن أذهب».

ـ سررت بلقائك. قد نلتقي مجدداً. هل تتنزهين كل صباح؟

ـ نعم.

ـ إذاً سنلتقي.

راحت جوليا تفكّر فيه بينما كانت تعمل، فقد سرّها التحدث مع شخص من سنّها. الخياطات الأخريات لطيفات جداً وهي تتفق معّهن إلاّ أنهن يكبرنها بأعوام كثيرة. وكانت جيني تقصد منزلها أثناء أوقات فراغها.

أمّا جوليا فراحت تستكشف الجوار. وقد زارت هالتويسل التي تقع على مسافة قريبة من القصر، وأرسلت بطاقات بريدية مصوّرة إلى روث ومونيكا، بعد أن غاب عن بالها أنّ البروفسور قد يراها.

ذات يوم، قصدت بلدة غرينهيد الصغيرة وسارت أميالاً قبل أن تعثر على طريق فرعية تعيدها إلى هالتويسل، ومنها إلى القصر. سارت مسافة طويلة لكنّها استمتعت بكل لحظة منها. لم تشعر بالوحدة في الريف لأنّ تفكيرها بجيرارد كان يؤنسها.

قالت في قرارة نفسها إنّ ما فعلته هو الصواب، فلا نيّة لديها بقضاء وقتها وهي تحلم برجل بالكاد يلاحظ وجودها.

وروادتها فكرة صداقتهما مرة أو اثنتين إلاّ أن ذلك كان مضيعة للوقت. ومن المحتمل أن يكون جيرارد عاد إلى هولندا.

لم تحتمل جوليا فكرة الابتعاد عنه نهائياً ولكن عليها الاعتياد عليها، ولا بدّ أن الوقت سيتكفّل بشفاء جروحها.

قد يلتقيان مجدداً... لذا ستبقى هنا طالما لديها عمل تقوم به ومن ثم تقرّر ما عليها فعله وإلى أين ستنتقل عوض البقاء في هذا الريف النائي.

كتبت رسائل فرحة إلى روث ومونيكا. وعلى الرغم من أنهما تجهلان سبب تكتمها عن مكان وجودها، لم تلاحقا المسألة، لأن جوليا بدت سعيدة بعملها وهما منشغلتان بحياتهما الخاصة. ولو أن البروفسور أتى على ذكرها ولو مرة أثناء زياراته القليلة، لربّما فكرتا أكثر بالموضوع...

بعد بضعة أيام، التقت جوليا كولين مانتون مجدداً بعد أن أنهت عملها فيما كانت تجتاز الفناء متوجهة إلى غرفتها. قررت أن تتنزه قليلاً قبل العشاء ومن ثم أن تكتب بعض الرسائل.

ـ مرحباً. هل أنهيت عملك لليوم؟ أفترض أنك لا ترغبين بالتنزه. سأذهب إلى الجهة الأخرى من الحديقة لأتحقق من أن الغرسات تنمو جيداً. هلاّ رافقتني؟

ابتسمت جوليا: «حسناً، نعم».

الحديقة كبيرة جداً ومزدانة بأمواج من العشب الأخضر النضر والأزهار الرائعة، تتوسطها بحيرة تحيط بها الأشجار. شقّا طريقهما بين الأشجار وهما يتحادثان.

سألها أن تناديه كولين لرفع الكلفة بينهما، وأخبرها أنه سيمضي شهراً أو اثنين هنا قبل أن يسافر إلى الخارج حيث ينتظره منصب مستشار زراعي. وأفضى إليها قائلاً: «سأتزوج قبل رحيلي».

وتشوّقت جوليا للتحدث عن خطيبته فسألته متلهّفة: «هل هي جميلة؟».

وأمضيا نزهتهما وهما يتحدثان عن جمال خطيبة كولين.

وعندما اقتربا من المنزل قال لها: «هل أضجرتك؟ لكنني أحب التحدث عنها».

ـ طبعاً هذا واضح. ويبدو أنك تحبها كما أنها جميلة. أنا واثقة من أنكما سوف تسعدان معاً. كم ستبقى هنا؟

ـ عشرة أيام. سوف تخرج من منزلها في ويلتشاير. لم نشأ إقامة زفاف كبير ولكنك تعرفين الأمهات.

كانا قد بلغا الفناء عندما قال لها كولين: «استمتعت بالنزهة. أفترض أنك ترغبين بالذهاب إلى ميكسهام؟ عليّ أن أرى شخصاً هناك لكنني لن أتاخر. هناك دير رائع، أظنك ترغبين بزيارته».

ـ نعم أرغب بذلك. ولدي وقت فراغ قبل ظهر الثلاثاء والخميس.

ـ الثلاثاء المقبل إذن؟ لا يبعد الدير سوى خمسة عشر ميلاً. فإذا انطلقنا عند التاسعة، يمكّننا ارتشاف القهوة قبل أن أذهب لرؤية صديقي هذا، بينما تزورين أنت الدير ومن ثم نلتقي لتناول الغداء معاً.

ـ ولكن عليّ العودة قبل الساعة الثانية.

ـ سهل للغاية، نتناول الغداء باكراً.

وافقت جوليا ففكرة الخروج والتنزه مغرية جداً وخاصة أنها ستتمكن من التسوّق.

وبينما كانت تعمل بالقرب من جيني، نظرت إليها هذه الأخيرة وقالت لها:

ـ أين أصبحت في العمل؟ إذا استطعنا أن ننتهي منه حقاً، عليك أن تأتي معي إلى المنزل. لا يمكنك أن تتصوّري كم أنّ العودة إلى أحضان العائلة مذهلة! تبدين سعيدة. هل تصادقت مع أحدهم؟

أومأت جوليا برأسها قائلة: «وتنزّهت أميالاً. أحب السير والريف جميل. التقيت السيد مانتون ذات صباح وقد دعاني إلى هيكسهام. سأزور الدير وأتسوّق قليلاً».

ـ السيد الصغير؟ إنه لطيف. هل تعرفين أنه سيتزوج عمّا قريب؟

ـ نعم. لقد أخبرني عن خطيبته وعن المنصب الذي سيشغله. سيرحل قريباً. هل ستذهب العائلة لحضور الزفاف؟ وإذا ذهب الجميع، هل سيبقى المكان مفتوحاً أمام الجمهور؟

www.liilas.com

ـ لا أظن ذلك ولكنهم سيطلعوننا على الأمر. أفترض ذلك.

ثم نظرت جيني إلى جوليا نظرة استفهام: «يبدو أن العمل كثير هنا. فلا يزال أمامنا ستائر غرفة الرسم وسجاد جدران الردهة، وقد نبقى حتى بداية السنة المقبلة. هل ستبقين؟».

ـ ولِمَ لا؟ إلاّ إذا كان هناك سبب وجيه للعودة إلى لندن. لديّ شقيقتان متزوجتان، فقد ترزقان بأولاد أو تحتاجان إليّ لأمر أو لآخر.

تكلّمت بفرح ولكن على الرغم من حبّها للمكان، أرعبتها فكرة البقاء فيه ستة أشهر أخرى. ففي النهاية، لديها الآن ما يكفي من مال لتجد مسكناً، وليس بالضرورة في لندن، بالإضافة إلى عمل تكسب عيشها منه. مجرّد التفكير في هذا الموضوع أخافها، هي التي لم تخف يوماً من قبل.

في المساء، استعارت كتاب أطلس. لا يجدر بها الابتعاد كثيراً عن روث ومونيكا ولكن عليها أن تبتعد كثيراً عن لندن وجيرارد.

دوّنت لائحة بأسماء البلدات المحتملة وخلدت إلى النوم يتملّكها شعور بأن المستقبل الغامض بدأ يتضح أمامها.

بعد ظهر الثلاثاء وبينما هي تعمل، راحت جوليا تتذكر نزهتها مع كولين إلى هيكسهام. استمتعا كثيراً وقد أصبحا صديقين. وخلال النزهة كان لديهما الكثير ليتكلّما عنه. وشربا القهوة قبل أن يفترقا ومن ثم ذهبت جوليا لزيارة الدير، وللتسوق، فابتاعت بعض الكتب والحاجيات التي سجلتها. وأخيراً التقيا مجدداً، وتناولا الغداء معاً قبل أن يعودا إلى المنزل. كان الصباح ممتعاً وستفتقد وجهه البشوش وصداقته الودودة.

سيرحل يوم الخميس فقالت له إنها ستودّعه قبل أن تذهب في نزهتها. وكان من المقرر أن يغادر باكراً، فتناولت فطورها قبل أن تخرج إلى الفناء الخارجي لتجده قد ودّع عائلته وركب سيارته.

توجهت جوليا نحوه قائلة: «رحلة موفقة وأتمنى لك زفافاً سعيداً».

ـ شكراً وأنا سعيد بمعرفتك جوليا. آمل أن تتزوجي قريباً بسعيد الحظ.

حياها بمودة ظاهرة، وفي هذه اللحظة بالذات دخلت سيارة البروفسور الفناء.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ نارٌ تحرق أملاً

ابتعدت جوليا عن كولين وهي تضحك فرأت سيارة البروفسور وعندئذٍ استحالت غبطتها مزيجاً من الخوف والعصبية. الخوف لأنه قد يحمل إليها أخباراً سيئة عن شقيقتيها والعصبية لأنها كانت ترتدي تنورة قديمة وقميصاً قطنياً ملائمين لنزهة في الريف وليس لرؤيته هو من بين الناس جميعاً.

لوّحت بيدها لكولين ثم حوّلت نظرها إلى البروفسور الذي ترجّل من سيارته وتقدم نحوها.

أرادت أن تركض للقياه إلاّ أنّ طريقته المتريّثة في الاقتراب منها ردعتها. دنا منها وألقى التحية عليها بصوت رقيق: «مرحباً، جوليا».

سألته مخطوفة الأنفاس: «كيف عرفت أنني هنا؟».

ثم علت التكشيرة وجهها وأضافت: «طلبتُ من روث...».

ـ لم تقل لي شيئاً. لكن كوني واثقة أنني قادر على إيجادك إذا شئتُ ذلك.

ـ إذن، لماذا جئت؟

ـ لا جدوى من إخبارك في الوقت الحاضر. أنا سعيد لأنك عثرت على أصدقاء، أو حريّ بي أن أقول صديق؟

كان صوته ناعماً كالحرير.

ـ كولين؟

وأرادت أن تزعزع هدوءه وتهزّ كيانه، فتابعت تقول:

ـ آه، نعم. لقد تنزهنا كثيراً. إنه ابن صاحب المنزل.

ثم أضافت: «تجوّلنا في الجوار وذهبنا لرؤية سور هادريان...».

وعندما لم يعلّق على ما قالته، سألته: «ألديك أصدقاء في هذه البقعة من العالم؟».

ـ زملاء في مستشفى كارليسل.

ـ آه، هل لديك عمل هناك؟

لم يُجب عن سؤالها بل سألها هو: «متى تعملين؟».

ـ من التاسعة صباحاً حتى الخامسة. لدينا فرص يومية لتناول الطعام، ونعمل نصف دوام يومين أسبوعياً.

ثم أضافت بنبرة تحدي: «يعجبني ذلك».

ـ وهل تعملين اليوم بنصف دوام؟

أجابته بالايجاب على مضض فابتسم لها قائلاً: «ماذا لو أمضيت بقية اليوم معي؟ يمكننا أن نقصد سور هادريان وننتزه قليلاً قبل أن نتناول الغداء معاً. متى تعاودين العمل؟».

ـ عند الثانية.

ـ ساعة أو اثنتان في النسيم العليل ونزهة قصيرة لا بُد سيفيدانك.

ـ أنا أمشي كل صباح...

فقال لها برقّة: «نعم ولكن التنزه بمفردك ليس مشجعاً جداً، أليس كذلك؟ اذهبي وسرّحي شعرك. سأنتظرك هنا. عشر دقائق؟».

ـ لم أقل إنني سأرافقك...

ابتسم لها فوثب قلبها من مكانه.

ـ لكنك ستأتين!

توجهت إلى غرفتها وارتدت فستاناً قطنياً وسرّحت شعرها ثم تبرّجت قليلاً وهي تقول لنفسها إن مسّاً أصابها لا محال. من جهة

www.elromancia.com

أخرى، سيعود إلى لندن عمّا قريب وساعة أو اثنتين لن تغير شيئاً في مخططاتها. وتساءلت كيف اكتشف مكانها... لكنها لم تطل التفكير بهذا الموضوع، فوقت الراحة ثمين ويجدر بها الاستمتاع بكل دقيقة منه. أسرعت نحو الفناء الخارجي حيث كان البروفسور ينتظرها متكئاً على سيارته وهو يتكلم مع جيني المتوجهة إلى عملها.

قالت لها جيني مبتهجة: «يا لحظك! لا تدعي الوقت يسرقك ولو أنني مكانك لتركته يفعل بكل سرور».

حاولت جوليا غضّ الطرف عن الغمزة التي رافقت ملاحظة جيني، وركبت سيارة الرولز التي انطلقت في الحال. راحا يتحدّثان ممّا خفّف من ارتباك جوليا وأراحها. فكّرت في هذا اللقاء غير المتوقع الذي كان من شأنه أن يزعجها إلاّ أنه لم يفعل. بدا ظهوره المفاجيء وتنزههما في الصباح كما لو أنهما صديقان حميمان وكأنه من أكثر الأمور طبيعية في العالم. لكنهما ليسا صديقين. شعر بحاجة للرفقة ليس إلاّ، وأراد أن يمضي ساعة أو أكثر خارج العمل.

نظر البروفسور إلى وجه جوليا الذي بدا عليه الارتباك وابتسم في نفسه. فهذه هي المرة الأولى التي ينعقد لسانها فيها.

اصطحبها إلى برامبتون، على بعد أميال قليلة. حيث شربا القهوة في أحد الفنادق ثم حجزا طاولة للغداء وانطلقا على الفور إلى سور هادريان القريب. وعندما بلغاه، راحا يتمشيان بجانبه. كان الهدوء يخيّم على الريف المقفر وبالكاد كانت السيارات تمرّ على الطريق المجاورة. أمّا الطقس فكان معتدل البرودة ممّا جعل من التنزه متعة ولذة. وراحا يتحادثان.

وتفاجأت جوليا بسهولة التحدث إليه. فشاطرته همومها وشكوكها ومشاكلها وحدّثته عن مشاريعها المستقبلية، وتوقفت أخيراً عن الكلام بشكل مفاجيء. غباء منها أن تخبره هذا كلّه فهو لا يهتم إطلاقاً ولا بدّ

أنه يشعر بالملل. فغيّرت الموضوع قائلةً: «هل تعرف هذه البقعة من العالم؟».

- ليس بما يكفي.

ولاحظ تحوّلها المفاجيء فراح يحدّثها عن الريف الذي يحيط بهما. راودها شعور بأنه لم يستمع إلى ما قالته إذ لم يظهر أي اهتمام. عندئذٍ أحست أنها غبية لأنها أخبرته عن مخططاتها في حين أنها عزمت على ألاّ تراه مجدداً. واكتشفت أنّ الحبّ يجعل من العاشق غبياً أحياناً...

عند عودتهما إلى الفندق، تناولا طعام الغداء في مطعم جميل، تطلّ نوافذه على حديقة خلاّبة وتتميز خدمته بالدفء والودّ.

تناولت جوليا طعامها بشهية فقد أضناها الجوع بعد تلك النزهة الطويلة. وازدانت المائدة بأطعمة لذيذة كالحساء واللحم المشوي والجزر الأبيض المشوي والحلوى الشهية الهشة... بعد الغداء أقلّها إلى المنزل، وعندما وصلا إلى الفناء الخارجي حيث أرادت أن تعبّر له عن شكرها العميق، قال لها فجأة: «أنا سعيد لأنك استمتعت هذا الصباح! يجدر بك أن تقولي لكولين أن يصطحبك مجدداً عندما يكون الطقس صافياً».

لم تجد جوليا شيئاً تقوله باستثناء: «نعم».

وراقبته يبتعد. عندئذٍ تدفق على لسانها كل ما أرادت قوله. وفكّرت للحظة أنه أتى بحثاً عنها لأنه أراد رؤيتها مجدداً. ولكن لا، لديه وقت فراغ فاستغلّه ليطمئن على حالها فيطمئن روث عنها. إنها فكرة دنيئة...

عاد البروفسور إلى لندن وهو غارق في التفكير. لقد سرّت جوليا برؤيته، ورأى ذلك في عينيها. لكن هل فرحت لرؤيته هو بالذات أم لأنه شخص من ديارها؟ وذاك الشاب؟ راح جيرارد يفكّر فيه وهو يدرك

أنه في سنّ السادسة والثلاثين من العمر ولم يعد يعتبر شاباً. وعلى الرغم من أنه رجل غير مغرور بنفسه، إلاّ أنه يعرف أنّ بإمكانه أن يوقعها في حبّه، لكنه لا ينوي ذلك. فعليها أن تحبّه بكامل إرادتها وهو لم يشك أبداً أنّ أحدهما سيكون للآخر يوماً.

لم يجدها سعيدة، يروق لها العمل والمكان الذي تقيم فيه بالطبع إلاّ أنّ الحزن يغمر نفسها. وهو لا يستطيع شيئاً في الوقت الحاضر سوى التريث والانتظار.

اتصل بروث حال وصوله وطمأنها على جوليا.

فقالت روث لتوماس: «أظنه ذهب إلى مستشفى كارليسل واكتشف مكانها».

وافقها توماس الرأي على الرغم من أنه يعلم المزيد.

مرّ أسبوع أو اثنان وخيّم الطقس الدافىء والجاف على غير عادة حتى في شمال البلاد وبات العمل لساعات طويلة مضنياً.

خططت جوليا كثيراً لمستقبلها خلال نزهاتها الصباحية لكنها سرعان ما تخلّت عن أفكارها هذه. وشاعت أخبار أنه حين ينتهي العمل في هذا القصر، سيُعرض على العاملات هنا الانتقال إلى المنزل الذي تملكه العائلة في لندن. لن تذهب الخياطات المحليات لكن هي وجيني وضعهما مختلف. إلاّ أنّ هذا المشروع لا يفيدها. نسيان جيرارد أصعب بكثير ممّا توقعته. وكيف لها أن تنساه وهي واقعة في حبه؟ ما عليها فعله هو الابتعاد، قدر الامكان...

ارسلت رسائل كثيرة إلى روث ومونيكا وراحت تبحث في رسائلهما عن أخبار البروفسور لكن دون جدوى، وكأنه ليس موجوداً.

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة بعد الظهر عندما اندلعت النيران في المنزل، إذ تجاهل أحد الزائرين لافتة «التدخين ممنوع». فقد أشعل سيجارته ثم رمى عود الثقاب المشتعل، فوقع على ستائر غرفة الطعام

التي غدت سريعة العطب مع مرور الوقت. اشتعلت النيران بدون أن يلاحظها أحد وراحت تمتد إلى القاعة المجاورة فقضت على سجادات الجدران والكراسي والطاولات ومنها إلى غرفة الموسيقى...

إنه قصر كبير جداً ولم يكن أحد في هذا الجناح عندما اندلع الحريق. فامتد قبل أن يشغل أحدهم جهاز الإنذار وأحرق خطوط الهاتف وجهاز إنذار الحرائق المتصل بمخفر الشرطة في هالتويسل. وساد الهلع والاضطراب، ولم يخطر لأحد أن في الطابق الرابع سبع نساء يخطن.

إن الأصوات لا تصل واضحة عادة إلى هناك وهدير سيارات الزائرين بات مألوفاً، حتى لم يعدن يكترثن له أو لأيّ أصوات أخرى. وكانت مقفلة على الدوام لئلاّ يؤثر دخان السيارات في الأقمشة الحسّاسة التي يعملن عليها. ولكن في ذاك اليوم سمعت جوليا أصواتاً غريبة وكأنها تدق ناقوس الخطر. وبعد ثوانٍ قليلة، اشتمّت رائحة دخان فتوجهت إلى النافذة ونظرت من خلالها لترى النيران تلتهم جناحاً من المنزل كما رأت أشخاصاً يركبون الحافلات والسيارات على عجل والهلع يتملّكهم...

تركت النساء الأخريات عملهنّ ووافينها إلى النافذة... وقالت إحدى القرويات بإلحاح: «علينا أن نسرع ونخرج من هنا. سنكون بأمان لو سلكنا السلالم الخلفية».

كانت النيران بعيدة عنهنّ، لكن عندما وصلن إلى السلالم وجدّن الدرجات الأولى مشتعلة. ولم يكن الذعر قد تسلل إلى نفوسهنّ بعد إلاّ أنّ رؤية الدخان والنيران المندلعة في الطابق السفلي زعزعت هدوءهنّ.

وصرخت إحداهن: «باب الحديقة في الجهة الخلفية من المنزل. هناك سلّم صغير...».

وتوجّهن عبر ممرات لم ترها جوليا من قبل إلى أن وجدن السلّم.

لكنّ النيران كانت قد شبّت في الطابق السفلي أيضاً، فأمسكت جوليا بذراع إحدى النساء قائلة: «إذا عدنا إلى العلّية وكسرنا النوافذ، سيرانا أحدهم، ولا بدّ أن يكون هناك منفذ...».

أومأت المرأة برأسها: «سنعود أدراجنا».

ثم صرخت مطمئنة النفوس الهلعة: «سينقذوننا من السطح».

وعادت النساء أدراجهنّ، وعلى الرغم من رائحة الحريق والدخان والضجيج، بقيت ألسنة النار بعيدة عن أنظارهنّ. وما إن وطئن أرض العلّية حتى رحن يكسرن زجاج النوافذ ويصرخن طلباً للنجدة.

امتدت النيران إلى وسط المنزل وراح الناس يركضون يمنة ويسرى ولكن صوت أجيج النيران خنق أصوات النساء فلم يرهنّ أحد. عندئذٍ، أمسكت جوليا بكرسيّ ورمته من على الشرفة الصغيرة وحذت النساء الأخريات حذوها فاتجهت الأنظار إليهن، وراح الناس يلوّحون لهنّ. وأخيراً تمكنّ من رؤية سيارات الإطفاء.

وجّهت خراطيم المياه إلى الطابق الثالث الذي امتدت النيران إليه. وقالت جوليا عالياً: «إذا ما توقّف الحريق هنا، لدينا فرصة للنجاة».

فتشجّعت النساء المذعورات.

تطلب وصول فريق الإنقاذ خمس دقائق، وخيّل لجوليا أنها أطول خمس دقائق في حياتها. ثم رأت أول امرأة متمسكة بذراع أحد رجال الإنقاذ الذين اهتموا أولاً بالأمهات ثم بالمسنّات وأخيراً بجيني وجوليا.

وبقيت جوليا تنتظر وحيدة، فريسة ذعرها وهلعها، وصرخت بأعلى صوتها إلاّ أنّ أحداً لم يسمعها وسط هدير النيران المتأججة. وشعرت بتحسّن. لم يعد هناك ما تخشاه الآن فرجال الإنقاذ سيعودون عمّا قريب من أجلها، لكنها تمنت لو أن جيرارد بجانبها ليطمئنها. وكان الدخان قد لفّ العلّية بأسرها عندما عاد رجل الإنقاذ لمساعدتها.

عاد البروفسور إلى منزله باكراً فدخل مكتبه وتبعته السيدة بوتس

حاملة صينية الشاي وويلف وروبي. جلس يتصفح بعض الأوراق ويدوّن بعض الملاحظات من أجل محاضرة عليه أن يلقيها.

احتسى الشاي وأطعم كلبيه بعض قطع الكعك ثم حوّل ناظريه إلى الأوراق المكدّسة على مكتبه. وقبل أن يمسك قلمه، أدار جهاز الراديو. وصادف أن سمع النبأ العاجل الذي يتحدث عن حريق اندلع في منزل شمالي انكلترا. حتى الآن لم تُسجل أيّ إصابات ولكن يُخشى أنّ بعض الأشخاص تحاصرهم النيران في المنزل. أراد البروفسور أن يهبّ حالاً إلى سيارته ويتوجّه شمالاً لكنه التقط سمّاعة الهاتف وطلب المستشفى حيث لا يزال توماس يعمل. قال له بإيجاز:

- سأسافر في غضون ساعة. قل لروث إنني سأحضر جوليا معي.

- هل أنت واثق من أنه المكان الذي تعمل فيه جوليا؟

- ذكروا الإسم على الراديو.

غادر البروفسور منزله في لحظات متجهاً نحو المطار، وحصر تفكيره في السفر دون سواه. في نهاية رحلته استأجر سيارة وكاد يصل إلى مقصده حين رأى الدخان يتصاعد أمامه ورجالاً أوقفوه قبل أن يصل.

- عذراً، سيدي ولكن لا يمكنك أن تتقدم أكثر. هل يمكنني مساعدتك؟

- نعم. زوجتي تعمل هنا ولا بدّ أنها في الطابق العلوي. جئت أقلّها إلى المنزل.

وعندما نظر إليه الشرطي متسائلاً، أضاف: «إلى لندن. لقد جئت بالطائرة. أنا جرّاح في إحدى المستشفيات هناك».

- إذن من الأفضل أن تجدها. هناك فريق يكشف على من يخرج من المنزل وقد أرسلوا البعض إلى المستشفى أو إلى المنازل.

وأومأ إلى البروفسور مضيفاً: «سأتصل بهم عبر الجهاز».

وانطلق البروفسور بسيارته ثم ركنها وترجّل منها. كان المكان يعجّ بالناس: رجال الشرطة ورجال الإطفاء والعمّال والقرويون.

قال له أحد الضبّاط إنّ المنزل أُخلي من الناس، بعضهم أُرسل إلى المستشفى في كارليسل والبعض الآخر إلى منازلهم...

لكنّ أحد الأشخاص قاطعه قائلاً: «ليس جميعهم. ثمة خياطة في منزلي مع زوجتي. ليست من الجوار وليس لديها مكان تذهب إليه».

ثم أضاف: «أنا البستاني هنا».

ونظر إلى البروفسور قبل أن يتابع كلامه: «إذهب والقِ نظرة. إنّه الكوخ الأخير».

ثم لوّح له بيده وأضاف: «قل للسيدة إنني أرسلتك».

شكره البروفسور وشق طريقه وسط الحشود محاولاً إخفاء قلقه. وعندما بلغ الكوخ، انتظر قليلاً حتى فتحت له امرأة أصغت إلى شرحه السريع دعته إلى الدخول إلى المطبخ.

ـ إذا كان اسمها جوليا، فهي بخير. لكنّها آخر من تمّ إنقاذه لذا تجدها مضطربة بعض الشيء.

شكرها بهدوء ثم دخل المطبخ. كانت جوليا جالسة على كرسي قرب الموقد، وعندما نظرت إليه بعينيها المبتهجتين لرؤيته نسي تعبه وجوعه وظمأه. كان مستعداً لأن يجتاز أضعاف هذه المسافة لكي يرى تلك النظرة في عينيها.

تكلّم بسرعة حين رأى الدموع في عينيها وهي تحاول مقاومتها.

ـ لا بأس، عزيزتي سنذهب حالما أطمئن إلى أنك بخير.

وابتسم لها بمحبة صديق قديم أو أخ أكبر.

عندئذٍ وجدت الكلمات واستعادت قدرتها على الكلام.

ـ جيرارد، آه، جيرارد. خفت كثيراً ولم أعرف ماذا أفعل. ومن ثم أنيت...

وابتسمت له. عندئذٍ دخلت زوجة البستاني.

ـ سأحضر لك فنجان شاي ولكن عليك أن تقابل الشرطي الذي في السيارة ذات الضوء الأزرق.

ثم استدارت نحو جوليا: «أتعرفين هذا السيد، آنستي؟».

أومأت جوليا برأسها إيجاباً: «نعم، نحن...».

وتوقفت للحظة عن الكلام قبل أن تضيف: «إنه يعرف عائلتي وسيقلّني إلى المنزل».

ـ سأغلي الماء سيدي، عد بأسرع ما يمكن فالمسافة بعيدة إلى ديارك على ما أظن.

ابتسم البروفسور وخرج. فقالت جوليا: «لندن».

ـ أتعنين أنه أتى من لندن؟

ـ لا، لا. أحياناً يأتي إلى مستشفى كارليسل. إنه جرّاح.

ـ حسناً، يا لحظك! هاك الشاي. إشربيه ساخناً فأنت لا تزالين مضطربة.

وهذا صحيح في الواقع. كانت قد شربت نصف فنجانها عندما عاد البروفسور. شرب الشاي وشكر زوجة البستاني ثم اصطحب جوليا إلى السيارة. ساعدها بحنان بالغ فغمرتها السعادة إذ لم تعد ساقاها قادرتين على حملها. عندما وصلا إلى السيارة، وضعها داخلها، ثم بحث عن غطاء في الصندوق ولفّها فيه. فعل هذا كلّه كأخ أكبر...

جلست في السيارة الدافئة المريحة وأغمضت عينيها ولم تفتحهما إلاّ عندما أطلّ الشرطي برأسه من النافذة قائلاً: «هل أنت الآنسة جوليا غرايسي؟ إنني أتحقق فقط من أنك بخير».

ابتسمت له وأجابت: «نعم، أنا هي. وهذا البروفسور ڤان درمايس صديق العائلة».

ـ إذن هناك من يهتم بك في المنزل.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة وأضاف: «لقد نجوت بأعجوبة، آنستي».

والتفت إلى البروفسور قائلاً: «رحلة موفقة، سيدي».

ركب جيرارد السيارة المستأجرة وانطلق بها. وقرر أن يتوقف في طريقه إلى المطار، فهو يشعر بالتعب والجوع وجوليا بحاجة أيضاً إلى الراحة والطعام. التفت نحوها وهي ملتفة بالغطاء.

ـ سنصل بعد ساعتين تقريباً. سنتوقف في طريقنا لاحتساء شراب ساخن وتناول بعض الطعام. هل أنت بخير؟

ـ نعم، شكراً. آه جيرارد، لحسن الحظ أنك كنت هنا، أقصد في مستشفى كارليسل.

وعندما لم يعلّق على قولها، سألته: «كنت هنا، أليس كذلك؟ أقصد، وإلاّ كيف وصلت بهذه السرعة؟».

ـ سمعت الأخبار عند عودتي إلى المنزل...

حدّقت في عينيه من فوق الغطاء: «أتيت من لندن؟».

وبدا عدم التصديق واضحاً في صوتها.

ـ نعم. والآن اخلدي إلى النوم، جوليا.

ففعلت ما قاله لها على الرغم من استيائها من هذا الموضوع.

نظر البروفسور إلى وجه جوليا وقد أثقله الكرى. كانت شاحبة تفوح منها رائحة الدخان وشعرها مشعث. لكنها هنا، بقربه، سليمة معافاة.

وعندما وصلا إلى إحدى المحطات، أيقظها بنعومة: «سأحضر شاياً وطعاماً نأكله. ولكن أولاً سأصطحبك إلى الحمّام لتغتسلي».

شعرت جوليا بتحسّن، فعادت إلى السيارة حيث طلب منها البروفسور أن تبقى مستيقظة.

شربا الشاي الساخن وأكلا سندويشات باللحم بهدوء، وكان

الظلام قد أسدل ستاره حولهما.

قالت له جوليا في وقت لاحق أثناء رحلتهما الجوية القصيرة: «هل تمانع إن عدت للنوم قليلاً؟ أنا متعبة».

لقد توقّع هذا، فألقى الغطاء عليها وطرح تعبه جانباً بينما راح يضع المخططات ويقوّضها. ما إن يزول الخوف من قلب جوليا، حتى تختفي مجدداً فآخر ما تريده هو أن تدين له بشيء.

في لندن، اضطر للتوقف مرة أخرى عندما قالت له جوليا فجأة: «أشعر بالغثيان».

أخرجها بسرعة من السيارة وأمسك بها وهي تتقيأ. بعدئذٍ أجهشت بالبكاء، فمسح دموعها وأعادها إلى السيارة ثم ناولها بعض المحارم: «ستشعرين بتحسّن الآن، حاولي أن ترتاحي».

أغمضت عينيها لكن النوم لم يجد إليها سبيلاً فراحت تفكّر فيه. لقد تصرف بسرعة ورقّة وواقعية وتمرّد، وشعرت ببعده المهني. وغمرت الكآبة نفسها. لِمَ يجدر به أن يتصرّف غير ذلك؟ فهما لم يلتقيا يوماً بملء إرادتهما إنما بفعل الظروف. لِمَ اجتاز كل هذه المسافة من لندن؟ لكنّ الكرى أثقل جفنيها فعجزت عن التفكير إلاّ أنها تمتمت وهي تقاوم النعاس: لا بدّ أن روث قلقت بشأني، وهو يحبها ويحب توماس.

ابتسم البروفسور في سرّه فهذه أفضل الحجج على الإطلاق.

كان الوقت متأخراً حين أوقف السيارة أمام منزله. وكان قد اتصل بالسيدة بوتس قبل انطلاقهما من القصر وطلب منها أن تحضّر غرفة لجوليا ثم قال لها: «إخلدي إلى النوم فسنعود بعد منتصف الليل».

استيقظت جوليا وترجّلت من السيارة، بعد أن فتح لها الباب وساعدها على النزول. وعندما دخلا المنزل، نزلت السيدة بوتس بثوب النوم الذي ترتديه، قائلة:

- ها أنتما أخيراً، ومتعبان جداً. سيدي، أدخل المطبخ وتناول طعامك. سأصعد مع الآنسة لكي تستحمّ وتستلقي وتشرب كوباً من الحليب.

ثم أومأت برأسها: «وأنت أيضاً سيدي، أخلد إلى النوم».

ابتسم البروفسور قائلاً: «أنت ملاك سيدة بوتس. هل نمت؟».

- باركك الله سيدي، أويت إلى الفراش باكراً نظراً للوضع.

أمسك جوليا وحملها إلى الطابق العلوي ومدّدها على السرير.

استوقفته جوليا قائلة: «لا ترحل، لم أشكرك بعد».

بدت عيناها مغرورقتين بالدموع وستخجل من نفسها لاحقاً لأنها تصرّفت بسخف.

أجابها البروفسور بحنان: «ستتكلم في الصباح».

ثم رحل. عندئذٍ سمعت السيدة بوتس تقول لها بصوت رقيق: «الآن، عليك أن تخلعي ثيابك. إجلسي هنا فسأساعدك. بعد ذلك تستحمين وسأغسل لك شعرك ومن ثم إلى الفراش لتنامي ملء جفنيك. سيخلد البروفسور إلى النوم هو أيضاً. وغداً صباحاً تتحادثان».

استحمّت جوليا وغسلت شعرها بمساعدة السيدة بوتس التي حادثتها بصوتها الهادىء، ثم وضعتها في السرير وطلبت منها أن تخلد إلى النوم، وهذا ما فعلته.

استيقظت على نباح الكلاب وعلى أصوات منزل يستعدّ لنهار جديد، فعادت إلى النوم مطمئنّة.

وعندما فتحت عينيها مجدداً، كانت الشمس تضيء الغرفة. جلست على السرير وهي تشعر بتحسّن كبير فوجدت السيدة بوتس بجانبها وقد أحضرت لها فطورها. فقالت لها جوليا: «آه، يمكنني أن أنهض لتناول الفطور. لقد سبق وسبّبت لك الكثير من المتاعب، لكنني أصبحت بخير...».

وضعت السيدة بوتس الطعام أمام جوليا قائلةً: «الآن تناولي فطورك آنسة غراسي. ستحضر لك أختك بعض الملابس».

- روث؟ كيف عرفت أنني هنا؟

- اتصل بها البروفسور صباح اليوم قبل رحيله إلى المستشفى وستبقى للغداء.

- الغداء؟ كم الساعة الآن سيدة بوتس؟

- تجاوزت العاشرة بقليل.

- قال البروفسور إنه سيراني في الصباح. هل ما زال هنا؟

- باركك الله آنستي. ذهب منذ ساعتين.

وهزّت السيدة بوتس رأسها قائلة: «يستحيل إيقافه. ينام ساعتين وينطلق مجدداً. لكنه سيراك في وقت ما».

شربت جوليا فنجان الشاي ممزوجاً بدموعها: «نعم، طبعاً. لقد سببت له الكثير من المتاعب. سأعود مع شقيقتي بعد الغداء. هل يمكنني أن أترك له رسالة؟».

- سأحضر لك ورقة وقلماً.

وعدتها السيدة بوتس بذلك ثم تركتها تنهي فطورها الذي فقدت لذة تناوله.

لقد واجه الكثير من المتاعب لينقذها ولكن الآن وقد انتهى كل شيء، سينساها ولن تبقى سوى ذكرى مزعجة في حياته المنظّمة.

وقرّرت جوليا ألاّ تبكي بسبب هذا كلّه وأكملت فطورها الذي لم ترغب فيه ثم ذهبت لتستحم.

وعندما انتهت، نزلت إلى الطابق السفلي وقد ارتدت عباءة فضفاضة أعطتها إيّاها السيدة بوتس، ودخلت غرفة صغيرة حيث تركت لها السيدة بوتس أوراقاً وقلماً على المكتب.

قالت لها قبل أن تدعها تكتب رسالتها: «كادت شقيقتك تصل».

لم تكن كتابة الرسالة بالأمر السهل فاضطرت للقيام بعدة محاولات قبل أن ترضى بما دوّنته. ختمت المغلّف فيما دخلت روث محملة ببعض الثياب ومتشوقة لمعرفة ما حصل بالتحديد.

وعندما انتهت جوليا من كلامها، قالت لها روث: «لم أعرف بأي شيء إلى أن اتصل جيرارد بتوماس ليخبره بأنه عثر عليك وأنك بخير...».

قالت جوليا ببطء: «ظننت أنه أتى لأنك قلقة عليّ».

ـ لا، لا. قال لي توماس إنّ جيرارد اتصل به عند الرابعة والنصف بعد أن سمع نبأ الحريق وأخبره أنه سيغادر على الفور.

لاحظت روث تلك النظرة في عيني شقيقتها فبادرتها قائلة: «ستبقين معنا عزيزتي إلى أن تقرري ما تريدين فعله».

فسألتها جوليا ببطء: «هل تمانعين إذا زرت مونيكا لبعض الوقت؟».

ـ لا، طبعاً لا. المكان هادىء هناك وستحظين بالوقت للتفكير.

وهذا بالضبط ما لم تشأ جوليا أن تفعله لأنها لن تفكر سوى في جيرارد الذي أنقذها وترك لها رسالة مقتضبة يقول فيها إنه سيراها في وقت ما. حسناً، هذا أمر يمكنها تدبّره. إذا ذهبت إلى مونيكا، فسوف ينساها ولا بدّ أن هذا هو مبتغاه إذ يبدو أن لا شيء يرميها في طريقه سوى القدر وحده.

تناولتا الغداء وشكرتا السيدة بوتس على لطفها ثم استقلتا سيارة أجرة أوصلتهما إلى منزل روث. كان توماس في المستشفى فاستغلّت جوليا الفرصة لتتصل بمونيكا وتدعو نفسها للإقامة عندها لبعض الوقت: «لأسبوع فقط. لن أزعجك لكنني أريد أن أمضي بضعة أيام لأفكر بما عليّ فعله».

أجابتها مونيكا برحابة صدر: «إبقي طالما شئت ولن يزعجك

أحد. لا بدّ أن ما حصل لك كان مريعاً. وأظنك سررت برؤية جيرارد».

ـ نعم، فعلاً. لقد عاملني بلطف بالغ...

أجابتها مونيكا بطريقة جافة: «لا بل أكثر من ذلك».

وتابعت حديثها قائلة: «تعالي متى شئت، جوليا. غرفتك جاهزة، والمحطة الأقرب هي كولومبتون. سيوافيك جورج بالسيارة».

وصل توماس إلى المنزل وسرّ برؤية جوليا... أراد أن يعرف بشأن الحريق لكنه لم يأتِ على ذكر جيرارد ولو مرة واحدة.

فقالت له جوليا بصوت حذر بعض الشيء: «لم أرَ جيرارد منذ عودتنا. آمل ألاّ يكون متعباً...».

أجابها توماس: «جيرارد لا يتعب أبداً. لقد عمل طيلة النهار وهذا المساء سيخرج لتناول العشاء مع أرملة أحد مرضاه السابقين فهي تحاول الإيقاع به منذ مدة».

ففكرت جوليا بتذمر في أنها تضيّع وقتها بالتفكير فيه، وأملت أن توقع به تلك المرأة وتحوّل حياته جحيماً.

ابتسمت لبساطة تفكيرها وتمنت أن تختفي في مكان مظلم وموحش فتبكي وتذرف دموعها المريرة. إلاّ أن روث جعلت الأمور أسوأ عندما قالت إن أوليفيا تراقيس من أجمل النساء اللواتي التقتهنّ يوماً.

ـ لو كنت رجلاً لوقعت في حبها من النظرة الأولى.

بقيت جوليا ثلاثة أيام في منزل روث، ابتاعت خلالها بعض الثياب وقابلت رجل شرطة أراد التأكد من أنها بخير. وراحت كل صباح تتساءل عما إذا كانت سترى البروفسور لكنه لم يأت للزيارة قط، كما لم يأتِ توماس على ذكره. فأقنعت نفسها بأنها سعيدة بذلك.

كان بإمكانه على الأقل أن يعلمها بأنه استلم الرسالة أو لعلّه لم يستلمها، لعل سكرتيرته وضعتها مع الدعوات التي لم يرغب بتلبيتها.

وفي اليوم الثالث، رتّبت أمورها لكي تذهب إلى منزل مونيكا.

وسألتها روث قلقة: «هل ستبقين طويلاً عزيزتي؟ عودي متى شئت».

وقالت جوليا في نفسها وهي تخلد إلى النوم: «أنا عالة عليهما. عليّ أن أجد مكاناً أستقرّ فيه».

ربما في بلدة صغيرة غربي البلاد، يمكنها أن تستأجر شقة صغيرة أو محلاً. لديها ما يكفي من المال وما من سبب يمنعها من أن تؤسس حياة مستقلة سعيدة. يمكنها أيضاً أن تتزوج... لكن هذا موضوع خارج البحث فهي تحب جيرارد ولا يستطيع أحد أن يشغل قلبها سواه.

حتى اللحظة الأخيرة وإلى أن غادر القطار المحطة، احتفظت بطيف أمل، في أن ترى جيرارد، لكنه لم يظهر. وفكّرت جوليا يائسة أنه ربما في هولندا، وعندما انطلق القطار مجتازاً الحقول الخضراء والأشجار قالت في قرارة نفسها إن الأمر قد انتهى. سوف تنساه كما نسيها هو. فهي تبدد حياتها بحب رجل لا يعيرها أي اهتمام.

بعد أن فكرت في هذا كله، التقطت المجلة التي اشترتها وراحت تتصفحها. ضمت المجلة صوراً لشابات يرتدين ثياباً أنيقة، نحيلات القامة جميلات. وشعرت جوليا بأنها عجوز بمجرد النظر إليهنّ، فأعطت المجلة للشابة الجالسة قبالتها التي كانت تحدّق فيها. راحت جوليا تنظر عبر النافذة متأملة الريف الرائع وشعرت باهتمام مفاجىء بالمستقبل.

وقالت في سرّها إنّ أحداً لا يعرف ما يخبئه له القدر.

* * *

٨ ـ انتهى الوقت يا سيد!

عندما حضر جورج ليقل جوليا من محطة كولومبتون، لم يزعجها بالأسئلة إذ شعر أنها متعبة وحزينة على الرغم من حديثها الفرح.

وفكّر في أن يترك الأسئلة لمونيكا التي أعدّت سلسلة طويلة منها لتطرحها على شقيقتها.

تناولوا الغداء معاً ثم قالت مونيكا: «سأريك المنزل الآن بعد أن أجرينا التعديلات. إنه كبير لكلينا ولكننا نحبّه. وقد أصبح من السهل التجول فيه بعد أن قمنا بتركيب التدفئة المركزية وبأعمال السمكرية».

وبعد الغداء توجهت الشقيقتان إلى غرفة جوليا التي بدأت بإفراغ حقائبها بينما جلست مونيكا على السرير.

ـ هل روث بخير؟ وتوماس؟ هل رأيت البروفسور بعد عودتك؟ يا له من رجل شهم. لقد اجتاز هذه المسافة كلها ليعيدك إلى المنزل. أظنه رأى روث قلقة بشأنك. لكن هذا نبل منه لا سيّما وأنكما لا تحبان بعضكما كثيراً.

ـ نعم فعلاً. لم أره منذ ذلك الحين ولا أظن أنني سأراه.

ـ أخبرتني روث أنّ هناك امرأة جميلة تحاول الإيقاع به!

ـ نعم.

واحمرّت وجنتا جوليا ثم تابعت قائلة: «ابتعت لك هدية ولكنّها ضاعت في الحريق. ربما استطعت إيجاد شيء آخر. إن منزلك جميل

ومنزل روث كذلك . . . ».

قالت مونيكا قلقة: «ولكن أنت لا تملكين منزلاً ونحن قلقون بشأنك».

أقفلت جوليا حقيبتها ثم وضعتها تحت السرير.

ـ لا تقلقوا. أعرف تماماً ما أريد فعله. بادىء ذي بدء سأغادر لندن وأستقرّ في بلدة ما بينك وبين روث. سوف أستأجر شقة في البداية ومن ثم أبحث عن متجر مرفق بغرفة حيث سأبيع كل ما يتعلق بالخياطة والتطريز وحياكة الصوف. خلال إقامتي هنا، إذا كنت لا تمانعين، سألقي نظرة على البلدات المجاورة. يمكنني أن أستأجر سيارة. أعرف أنني لم أقد منذ سنوات ولكن لا أظنني نسيت القيادة.

سألتها مونيكا فجأة: «هل تمنيت يوماً لو أنك اقترنت بأوسكار؟».

ضحكت جوليا وأجابت: «مونيكا، لا بدّ أنك تمزحين! أنا سعيدة كما أنا، حرة وخالية البال».

ضحكت مونيكا أيضاً لكنها لم تصدّق كلمة ممّا قالته جوليا.

إن العيش في الريف متعة حقاً، فالقرية كبيرة وسكّانها موزعون في كافة الأنحاء، كما أنّ جورج ومونيكا استقبلاها بحفاوة. ولكن بعد أيام قليلة، أعلنت جوليا عن نيتها باستكشاف الجوار من أجل مستقبلها.

بدت هونيتون المكان الأنسب في البداية، فهي سوق صغيرة على الطريق العام الذي يصل لندن بالغرب وهي شهيرة بمتاجر التحف. لكنها سرعان ما أزالت الفكرة من رأسها، فهي قريبة جداً من مونيكا وبعيدة جداً عن روث. عليها أن تجد مكاناً بين شقيقتيها وبعيداً بما يكفي عن كليهما لئلا تتدخل في حياة أيّ منهما.

وانكبّت على الخرائط والكتب وسألت شقيقتها ذات صباح في الحديقة: «أين تقع ستورهند؟».

ـ شمالي إيوڤيل. ليست على الطريق العام ولكن من السهل

الوصول إليها. إنها مكان رائع، ذهبنا إليها الشهر الفائت. هناك حدائق رائعة ومتحف مليء بالكنوز الثمينة.

ـ ثمة إعلان في الصحيفة يطلبون فيه مرشدين وأشخاصاً يعملون على تصليح الأثاث والستائر. أعلم أنني أريد أن أبدأ حياتي الخاصة ولكن يبدو هذا العرض مغرياً.

لاحظت جوليا تلك النظرة المتردّدة في عيني مونيكا وعرفت ما يجول في فكرها. . . إنها تضيع وقتها وهي تتنقل من عمل إلى آخر. يجدر بها الاستقرار وتأمين مستقبلها. هذا إذا لم تتزوج.

قالت مونيكا بقلق:

ـ نعم، لعلها فكرة سديدة. فأثناء إقامتك هناك، يمكنك البحث عن متجر مناسب في البلدات المجاورة، مثل شيربورن وهي الأنسب على ما أعتقد. يوڤيل قريبة أيضاً لكنها كبيرة جداً بالنسبة إلى هذا النوع من المتاجر. هناك أيضاً وارمينستر وجيلينغهام وثافتسبوري، ولكن لا أظن أنّ عملك سيكون منتجاً في هذه البلدات. أفترض أن شيربورن هي الأنسب. . .

قصدت جوليا هذه البلدة فأعجبت بما فيها من دير ومدرسة رسمية ذائعة الصيت وعدد من المتاجر. وللمرة الأولى منذ عودتها شعرت أن المستقبل يبتسم لها. وتمنت أن يحبها جيرارد خلال هذه الفترة. . . ولكن هذا الأمر مستبعد وعليها أن تنسى أمره نهائياً. أمّا الآن وقد عرفت ما تريده، فقد قرّرت جوليا عدم هدر الوقت، فقصدت وكلاء العقارات في البلدة الذين قدّموا لها عروضاً لمتاجر برسم البيع أو الإيجار. وعزمت أن تضرب الحديد وهو حامٍ لأنها تنظر الآن إلى المستقبل نظرة تفاؤل.

فاتصلت بمونيكا لتعلمها بأنها ستمضي الليلة في شيربورن لتستعلم عن العروض.

لكنّ مونيكا ذكّرتها قائلة: «لكنّ أغراضك ليست معك».

فتجوّلت في البلدة وابتاعت قميصاً زهيد الثمن وفرشاة أسنان ونزلت في فندق هادىء لا يبعد كثيراً عن وسط البلدة.

وبما أنّ البلدة صغيرة لم تواجه أي مشكلة في إيجاد العناوين التي حصلت عليها. لم تكن الثلاثة الأولى مناسبة إطلاقاً إذ تقع في شوارع فرعية بعيدة، أمّا المتجر الرابع فملائم لأنه قريب من الدير ومن السوق الرئيسية وتحيط به مكتبة للكتب القديمة ومتجر يعرض لوحات فنية. نافذته صغيرة لكنها خضعت لبعض الإصلاحات، فالطلاء لا يزال حديثاً. حدّقت جوليا من الباب الزجاجي فرأت أن المتجر الصغير يحتوي على مكتب خلفه باب، وأشارت اللافتة إلى أنه يضمّ أيضاً جزءاً خاصاً بالسكن.

تمكّنت من التفاوض مع وكيل العقار قبل أن يقفل مكتبه واتفقت معه على رؤية المتجر في الصباح.

وبعد أن تملّكها شعور قوي ببلوغ الهدف، انطلقت جوليا نحو الفندق وتناولت عشاءً شهياً ثم غطّت في سبات عميق.

كان المتجر صغيراً إنما مرفق ببعض المنافع، فخلفه غرفة صغيرة ومطبخ وتعلوه غرفة نوم وحمّام. رأت جوليا أنّ بإمكانها السكن فيه بدون تكبّد الكثير من النفقات كما يمكنها استئجاره لسنة واحدة فلا تنفق الكثير من رأسمالها.

قررت أن تستأجره، وفكّرت: أنا بحاجة إلى محامي وأودّ أن أسكنه بأسرع ما يمكن.

عادت في فترة بعد الظهر إلى بيت مونيكا ورأسها يعجّ بالأفكار والمخططات. ستبقى في شيربورن وتعدّ المكان لكي يغدو صالحاً للسكن، قبل أن تنتقل إليه.

عند سماع هذه الأخبار، أومأت مونيكا برأسها موافقة وقالت لها

بحذر: «إذا كان هذا ما تريدينه. وليس لديّ أدنى شك في نجاحك كما أنك ستتعرفين إلى أصدقاء جدد، إذا أردت ذلك».

أكدت لها جوليا أنّ هذا ما تريده إلاّ أنّ الأمر لم يكن صحيحاً تماماً. فما تريده فعلاً هو أن يقع جيرارد في حبّها ويتزوجها ويعيش معها إلى الأبد. ولكن بما أن ذلك لم يحصل، عليها أن تستحيل امرأة أعمال ناجحة.

قالت مونيكا: «سوف تلتقين على الأرجح رجلاً طيباً».

لا جدوى من إخبارها أنها سبق ووجدته، إنما اكتفت بالقول: «عليّ أن أعود إلى لندن لمقابلة المحامي والمصرف. هل لي أن أبقى هنا عدّة أيام ريثما أتدبّر الأمور في شيربورن؟ عليّ أن أوقّع بعض الأوراق وإلى ما هنالك».

- إبقي طالما شئت، عزيزتي. تعرفين جيداً أنك على الرحب والسعة دائماً. لست بعيدة عنّا، وإذا اشتريت سيارة... هل يمكنك ذلك؟

- أظن ذلك. سيارة صغيرة مستعملة.

بعد أيام، عادت إلى لندن وشعرت بالارتياح عندما قيل لها إن البروفسور في هولندا.

ساعدها المحامي كثيراً ولكن بتحفظ. وأمل أن تكون جوليا قد درست مخاطر التجارة وقال لها وهو يهزّ رأسه الذي تخلّله الشيب: «شابة بمفردها!».

لم يتغير مع مرور الزمن ولكنها تحبه لاهتمامه الأبوي بها.

تصرّف مدير المصرف بحذر هو أيضاً وآثر أن تستثمر مالها في مجال أكثر ضمانة يدر عليها دخلاً ثابتاً وأن تقيم مع إحدى شقيقاتها...

أثناء عملها في القصر، جمعت معلومات كثيرة عن الشركات التي

www.elromancia.com

تبيع المواد الأولية الضرورية للعمل هناك وكوّنت فكرة عن كيفية الاتصال بها. عزمت جوليا على بيع الأصواف وخيطان الحرير ومواد التطريز وكل ما يتعلق بالنسج والخياطة، وقرّرت أن تحيك هي أيضاً وتبيع ما تصنعه. لن تدع الخوف والشك يتسللان إلى نفسها. لطالما تمكنت من تذليل العقبات وهذا العمل هو بمثابة تحدٍّ...

كانت في غرفة الجلوس عند روث عندما فتح البروفسور الباب ودخل. تراجعت جوليا وفغرت فاها وقد عجزت عن التفكير بأي شيء تقوله.

قال لها البروفسور: «أطبقي فمك عزيزتي. لِمَ أنت مندهشة هكذا؟».

ـ ظننت أنك في هولندا.

وامتزجت في قلبها مشاعر السرور لرؤيته مجدداً والانزعاج لدخوله من دون استئذان.

جلس بالقرب منها، مدّ ساقيه وكأنه في منزله: «إذن، أنت على وشك أن تصبحي امرأة أعمال؟ لا شك أن أعمالك ستُكلّل بالنجاح وسوف تجنين الكثير من المال وتحققين كل ما تحلمين به...».

قالت له جوليا غاضبة: «كفى سخرية. كما أنّ هذا ليس من شأنك».

ـ أنت فظة. ألم تسرّي برؤيتي؟ ظننت أن بإمكاننا تناول العشاء معاً هذا المساء والتحدث عن الماضي؟

حدّقت فيه بإمعان وهي تفكر أنّ تمضية الأمسية معه بمثابة حلم يتحقق، ولكنها قطعت وعداً على نفسها بأن تنساه. قال لها البروفسور وهو يراقب تعابير وجهها: «سأعود إلى هولندا وأنت ستغادرين لندن».

في هذه الحالة، فكرت جوليا أنّ لا ضير من مرافقته، فقد أوضح لها أنهما لن يريا بعضهما مجدداً.

ـ حسناً مع أنني واثقة من أنه ليس هناك ما نتحدث عنه.

ـ لا؟ منزل هولندا؟ أمستردام؟ السيدة بيكيت؟ أظننا سنتكلم كثيراً!

ووقف استعداداً للرحيل: «سأمرّ بك عند السابعة والنصف».

ـ هل أتأنق؟

سؤال جعله يهيم في حبّها أكثر فأكثر، فتارة تتصرف بتعجرف وتارة أخرى كفتاة صغيرة.

أجابها بلطف: «ارتدي ثوباً جميلاً. سنذهب إلى مطعم كلاريدج».

هبّت جوليا إلى غرفتها لحظة رحيله لتحضر فستاناً مناسباً. لم تشأ شراءه لكنها وجدته جميلاً جداً بلونه البرونزي وياقته العالية وأناقته. ابتاعته لأنه بدا لها أجمل من كل الثياب التي قد تتمكن يوماً من شرائها. وقررت أن ترتديه حتى وإذا لم تتمكن من ارتدائه مرة أخرى فهو يستحق المال الذي انفقته عليه.

عاد توماس وروث معاً وقالت لهما جوليا: «لقد حضّرت طعام العشاء، فطيرة بالفاكهة. هل تمانعان إذا خرجت الليلة؟ دعاني جيرارد للعشاء»

رمقت روث توماس بنظرة وكأنها تقول له: أرأيت؟ ثم قالت: «آه، رائع. وإلى أين يصطحبك؟».

ـ مطعم كلاريدج.

أوشكت روث أن تقول لها يا لحظك! لكنها غيّرت رأيها. وكونها وقعت في حب توماس كما وقع هو في حبّها بدون أي شكوك أو تعقيدات، صعب عليها أن تفهم لماذا شخصان عاقلان مثل البروفسور وشقيقتها بطيئان إلى هذا الحدّ في اكتشاف حبّ أحدهما للآخر.

انتبهت لنظرة توماس لكنها قالت لجوليا: «يمكنك أن ترتدي الفستان البرونزي...».

بعد أن ارتدت فستانها، راحت جوليا تتساءل إذا ستتمكن من ارتدائه مرة أخرى. فهي لا تعرف أحداً في شيربورن وسيلزمها وقت لتجد الأصدقاء ولعلهم لن يكونوا من النوع الذي يصطحبها إلى مطعم رائع مثل كلاريدج. وعزمت أن تستمتع بأمسيتها قدر الإمكان.

أفرحها أن تكون قد ارتدت فستانها عندما أتى البروفسور ليصطحبها، إذ بدا مثال الرجل الأنيق في السترة التي ارتداها الليلة.

كان واقفاً في الردهة يتحدث إلى توماس عندما نزلت السلالم، فعلّق قائلاً: «يا لهذا الجمال!».

وراودتها الشكوك عمّا إذا كان يتكلم عن الفستان أو عنها هي.

ألقت على كتفيها الوشاح الذي ورثته عن والدتها وحيّت البروفسور ثم أكّدت لروث أنها لن تتأخر بالعودة قبل أن يتوجها إلى السيارة. وتمنت أن يستمتعا بالأمسية كما دعت لهما روث...

كانت الشوارع شبه خالية من السيارات لكن لزمهما بعض الوقت ليصلا لأنهما توجها نحو وسط المدينة. راحت جوليا تتكلم بين الحين والآخر متذكرة بذلك أصول اللياقة ولكن عندما لاحظت أنه بالكاد يعلّق على ما تقوله، ، قالت له ببرودة: «ألا تحبّ أن أتكلّم؟».

رمقها بنظرة خاطفة: «لِمَ تقولين هذا؟ أنت تضيفين النيّة السيئة دائماً».

ندمت فجأة وقالت له: «لا، لا، حقاً لا. لقد ساعدتني مراراً حتى ولو لم تقصد ذلك. أقصد، الظروف...».

ثم توقفت: «لم يجدر بي قول ذلك. أنا آسفة. أودّ أن نفترق ونحن صديقان».

ـ ما قلته جدير بالثناء. آمل أن تحاولي أخيراً التغلب على كرهك لي.

وقبل أن تتمكن من التعليق على الموضوع، أوقف سيارته أمام

مدخل المطعم، فأصبح الكلام الجديّ أمراً صعباً وحتى لو أرادت ذلك.

تركت وشاحها مع السيدة التي تهتم بتعليق الثياب، وعلى الرغم من النظرة التي رمقت بها هذه السيدة وشاحها، شعرت بالسعادة إذ رأت الإعجاب في عيني جيرارد.

لم يتناولا العشاء مباشرة إنما شربا عصيراً في صالة تعزف فيها فرقة موسيقية. وكان الجو كفيلاً بجعل أي فتاة تشعر أنها جميلة ومحبوبة وهذا ما شعرت به جوليا عندما جلست إلى الطاولة. كما أن الرجل الذي تحب جالس قبالتها وإن كان للمرة الأخيرة. لن تدع شيئاً يفسد لقاءهما الأخير...

لا شك أنها متّيمة بالحب لكنها لم تفقد شهيتها. تناولا حساءً لذيذاً وطبق سمك مع الحامض بالإضافة إلى البطاطا المشوية وكعكة بالحامض لذيذة للغاية، فنسيت جوليا أن هذا هو لقاؤهما الأخير ولمعت عيناها وراحت تتكلم بطلاقة.

أمّا البروفسور فانتقل من حديث إلى آخر ولاحظ أنه عندما تنسى جوليا بغضها له، تشعر بالسعادة برفقته فرأى أن المسألة مسألة وقت وصبر. إنه لا ينوي إرغامها على حبّه، لهذا سيدعها تعمل في متجرها لبعض الوقت وما إن تنطفىء شرارة الاستقلالية الأولى، ستعود إليه. إنها ساحرة ولكنها عنيدة وتحب المعارضة. عليها أن تكتشف من تلقاء نفسها...

أمضيا سهرة ممتعة معاً ولم تتذكر جوليا أنّ هذا لقاؤهما الأخير إلا عند عودتهما إلى منزل روث. وانهارت مقرراتها كلّها وقالت له: «شكراً على هذه الأمسية اللطيفة. استمتعت كثيراً. آمل أن...».

ثم بدأت مجدداً: «أفترض أنك سعيد بالعودة إلى هولندا، أبلغ تحياتي للسيدة بيكبت عندما تراها».

ولم تتمالك نفسها فسألته: «هل ستعود إلى إنكلترا يوماً ما؟».

- بين الحين والآخر.

في الواقع سيذهب إلى هولندا لبعض الوقت فقط، فلديه معاينات يجريها والتزامات مع المستشفى هناك ولكنه لا ينوي إخبارها بالأمر.

ترجّل من السيارة وساعدها على الخروج وعيناه تتأملانها: «أمضيت أمسية رائعة، جوليا. شكراً لمجيئك».

لم تعرف ما الذي دفعها لتسأله: «هل ستتزوج؟».

وتمنت لو لم تتفوه بكلمة من هذا كله ولكن ما قيل قد قيل وفي النهاية لا ضير من ذلك.

حدّق البروفسور في وجهها المضطرب وقد علاه الاحمرار وأجابها بهدوء: «نعم، هذا ما أنوي فعله».

وتساءل عمّا إذا كان سؤالها ينمّ عن فضول تافه أو عن أكثر من هذا.

استدركت جوليا قائلة: «أتمنى لك السعادة».

- وأنت جوليا؟

- أنا متشوقة للقيام بأمر لطالما تقت للقيام به...

- وما هو؟

- أن أكون مستقلّة.

وراحت تفكر كم أنّ قول الأكاذيب سهل عندما يشعر المرء باليأس.

- نعم، طبعاً أتمنى لك النجاح.

ودفعها بلطف إلى البيت وأغلق الباب خلفها.

بقيت في الردهة تستمع إلى هدير سيارته وهي تبتعد.

قرّرت جوليا ألاّ تبكي وهي تدخل غرفتها بهدوء لتعلّق الفستان الذي ترتديه. لكن، ما إن أوت إلى فراشها حتى راحت تنوح بصمت

بالقرب من مافن الذي رافقها إلى الغرفة. لقد أصبح الآن هرّ روث لكنه يكنّ لجوليا عاطفة قوية وقد تحمّل بصبر نحيبها ونواحها.

كان توماس قد ذهب إلى المستشفى عندما نزلت جوليا لتناول فطورها. ألقت روث نظرة على وجهها ثم استدارت لتحمّص الخبز.

- هل أمضيت سهرة ممتعة؟ لم نسمعك تدخلين. هل كان الطعام لذيذاً؟ أفترض أنّ كل شيء فخم؟

- نعم بالفعل، إنه مطعم جميل، والطعام شهي. أمضيت أمسية رائعة.

سمعت روث جواب شقيقتها بشيء من الشك والتحفظ، لكنها لم تعلّق.

- اتصلت مونيكا مساء البارحة. تريدك أن تذهبي إليها في حال تعقدت الأمور في شيربورن. هل رتّبت الأمور كلها؟

- نعم سأنام في مكانٍ ما ريثما يجهز المتجر وأشتري بعض الأثاث. لن يستغرق الأمر طويلاً.

قصدت جوليا تاجر جملة وأوصته على طلبيتها ثم حزمت أمتعتها مجدداً فلم يعد هناك ما يبقيها في لندن. كما أن البروفسور عاد إلى هولندا، وكلما أسرعت ببدء حياتها الجديدة، كان ذلك أفضل لها.

كان الطقس ممطراً وبارداً عندما وصلت إلى شيربورن، فأرشدها وكيل العقارات إلى مكان تنزل فيه. تدبّرت أمورها لتقيم فيه أسبوعاً لكنّ المدة قد تطول قليلاً...

يقع المنزل في وسط البلدة وهو واحد من سلسلة أكواخ مبنية من الحجارة ومعتدلة الحجم. وعندما توقفت سيارة الأجرة أمام الباب لاحظت جوليا كم يبدو دافئاً. لكن السيدة التي فتحت الباب لم تكن كذلك، فهي امرأة أنيقة الملبس وشديدة الترتيب كما أنها زينت وجهها الذي فارقه الشباب.

www.elromancia.com

استقبلت السيدة ليغ بولتر جوليا بلياقة باردة وفي غضون خمس دقائق، أوضحت لها أن الظروف الإقتصادية السيئة وحدها أجبرتها على استقبال النزلاء.

ـ هذا ليس ما اعتدته إطلاقاً ولكنّ الفقراء لا يملكون حق الاختيار. أليس كذلك؟

وضحكت ولكن بما أن المتعة لم تبدُ إطلاقاً على وجهها، تمتمت جوليا كلمات مبهمة وهي تتبعها إلى الطابق العلوي.

قالت السيدة ليغ بولتر: «أقدّم الفطور عند الثامنة والنصف ويُفترض بالنزلاء أن يغادروا المنزل قبل العاشرة والعودة بعد السادسة. في الوقت الحاضر، أنت الضيفة الوحيدة لذا يمكنك استعمال الحمّام بين التاسعة والعاشرة مساءً».

سألتها جوليا متأملة: «ما من وجبات مسائية؟».

بدت مالكة المنزل مهانة وأجابت: «يا آنستي العزيزة، لا يمكنك أن تتصوّري العمل الذي أتكبّده بتأمين غرفة وفطور لضيفي وفي نهاية النهار تنهار قواي».

عندما رحلت المالكة، بقيت جوليا بمفردها تتأمل الغرفة التي تحتوي على ضروريات كل غرفة نوم والتي طغى عليها اللونان البيج والبني وافتقرت لأيّ لوحة أو زينة. لكن جوليا قالت إنه في النهاية مكان النوم ليس إلاّ، فستتناول فطوراً مغذياً وتنتقل إلى متجرها في أسرع وقت ممكن.

أفرغت حقيبتها ثم ذهبت إلى البلدة حيث شربت الشاي قبل أن تتوجه لإلقاء نظرة على بيتها المستقبلي. وقرّرت أن تقابل وكيل العقارات في اليوم التالي لتسأله أن يسلّمها المفتاح فقد وقّعت الأوراق كافة ودفعت بدل إيجار الشهر الأول. راحت تدوّن قائمة بالأعمال التي يجب أن تنجزها، وبعد ذلك تجوّلت في السوق بحثاً عن أثاث مستعمل

والأواني المنزلية التي ستحتاجها.

حجزت بعض الأغراض ثم راحت تبحث عن مكان تتناول فيه طعام العشاء. وجدت مقهى صغيراً بالقرب من الدير، يقدّم وجبات خفيفة حتى الساعة الثامنة مساءً، فجلست تأكل عجة بالفطر وبطاطا مقلية وتشرب القهوة إلى أن حان وقت إقفال المقهى. عندئذٍ عادت إلى منزل السيدة ليغ بولتر التي فتحت لها الباب ببسمة خفيفة طالبة منها أن تمسح قدميها قبل الدخول ومذكّرة إياها أن الفطور عند الثامنة والنصف:

ـ أسألك أن تكوني دقيقة في المواعيد. عليّ أن أنظم نهاري.

ليس نهارها فقط إنّما نهار كل مخلوق تعس يعيش معها. هذا ما فكرت فيه جوليا وهي تصعد إلى غرفتها.

أخذت جوليا حمّاماً ساخناً وأوت إلى فراشها.

لديها أمور كثيرة تفكر فيها فالأيام التالية ستكون حافلة.

وعندما أغمضت عينيها أخيراً، سمحت لأفكارها بأن تحلّق إلى جيرارد، وحنّت إليه، فبالرغم من أنها عزمت على ألاّ تراه مجدداً، إلاّ أنّ ما من سبب يمنعها من أن تحلم قليلاً.

أضناها تعب النهار فنامت نوماً عميقاً. وعندما استيقظت، لم تفكّر سوى بتناول الفطور.

كانت الوجبة اقتصادية، قدمتها السيدة ليغ بولتر بازدراء وكأنّ تقديم بيضة مسلوقة وقطعتي خبز يسيء إلى مركزها الاجتماعي.

تناولت جوليا فطورها الهزيل في لمح البصر وفاجأت صاحبة المنزل عندما طلبت المزيد من الماء الساخن. فالشاي كان خفيفاً كذلك...

غادرت المنزل قبل الساعة العاشرة، وقصدت وكيل العقارات وأخذت مفتاح ما أصبح الآن ملكاً لها.

ما يحتاجه المتجر ليس بالكثير: نجّار ليقوم بتركيب الرفوف فيه،

سجّاد لغرفة الجلوس ولمسة نظافة في المكان كلّه.

قصدت السوق وأحضرت مكنسة وريشة غبار ومواد تنظيف وانكبّت على العمل.

توقفت للغداء ثم ذهبت بحثاً عن نجار ومتجر سجاد. استغرق ذلك وقتاً طويلاً لكنها عثرت أخيراً على نجار وعدها بأن يأتي في الصباح وعلى شخص ليأخذ قياسات الأرض.

عادت إلى المقهى لتناول العشاء ومن ثم إلى منزل السيدة ليغ بولتر التي استقبلتها بالفتور نفسه. فراحت جوليا تتساءل وهي ممدّدة في مغطس الحمّام تتناول رقاقات البطاطا، لماذا اختارت هذه السيدة أن تؤجر غرف منزلها طالما أنها تكره ضيوفها إلى هذا الحدّ.

وكان الفطور في اليوم التالي بيضة مسلوقة أيضاً وفكرت جوليا في أنها ستنحف على الأقل وتساءلت إذا ما ستعجب جيرارد لو خسرت بعض الوزن. لكنها فكرة سخيفة فهو لا يحبّها بغض النظر عن شكلها.

صحيح أنّ جوليا مغرمة إلاّ أن هذا لم يؤثر في شهيتها. خرجت من المنزل والجوع لا يزال يضنيها. تجولت في السوق وهي تحمل كيساً من الكعك المحلّى الساخن اشترته للتو من الفرن. وقصدت المتجر مجدداً وفي رأسها فكرة واضحة عمّا يجب فعله لئلا تهدر الوقت ريثما يصل النجار. وبعد أن أخذت قياسات الغرفة، ذهبت لتختار السجاد وهي تقنع الجميع بأن العمل يجب أن ينتهي في أقرب وقت ممكن.

عملت بجهد في الصباح فقصدت مطعماً حميماً لتناول الغداء. واستغرق شراء آلة الحياكة، وقماش الستائر بعد الظهر كلّه. قررت أن تؤجل شراء الأثاث إلى الغد، فتتمكن من الانتقال في نهاية الأسبوع...

كان نهارها حافلاً لدرجة أنها نسيت أمر جيرارد ولكن الآن وقد عادت إلى غرفتها نسيت كل شيء ولم تفكر سوى فيه.

جلست على سريرها وراحت تعدّ لائحة أخرى، إذ عليها أن تسرع في افتتاح المتجر. وقبل أن تغط في النوم، راحت تجول بأفكارها في منزل أمستردام وتستعيد في ذاكرتها جماله القديم وهدوءه اللامتناهي، اللذين لن يغيبا عن بالها أبداً. ومن ثم راحت تفكر بما يفعله جيرارد في الوقت الحاضر.

كان جالساً في غرفة الاستقبال ووالدته تجاهه ترتشف فنجان قهوة بالقرب من النار لأنّ الأمسيات بدأت تتّسم بالبرودة.

ميفرو ڤان درمايس امرأة ممشوقة القوام، أنيقة الملبس. ولولا شعرها الذي يتخلّله الشيب لما بدى تقدّم السنّ عليها. وهي جميلة الطلّة بعينيها الزرقاوين.

- أنا سعيدة جيرارد، فنادراً ما أراك. أعرف أن ما باليد حيلة. صحيح أنّ دين هاغ ليست سوى على مسافة نصف ساعة ولكن هذه المسافة طويلة بعد يوم طويل في المستشفى. جلّ ما أتمناه هو أن أراك أكثر.

- أفكّر بتخفيف عملي في انكلترا. ليس في مستشفى لندن ولكن في مستشفيات الضواحي.

- أيعني هذا أنّ منزلك الأساسي سيكون هنا؟

ثم أضافت: «هل تفكّر بالزواج أخيراً؟».

ابتسم قائلاً: «لقد تريثت قليلاً، أليس كذلك؟ ولكن نعم هذا ما أنوي فعله».

- هل أعرفها؟ آه عزيزي. سوف أفرح كثيراً...

- إنها شابة إنكليزية. أتذكرين تلك التي اهتمت بالسيدة بيكيث؟

- والتي أحبّتها كثيراً كما سأحبها أنا أيضاً. هل ستحضرها لأراها؟

- بعد فترة قصيرة، إن شاء الله.

شيء ما في صوته جعلها تسأله: «هل تعرف أنك تودّ الزواج

بها؟».

ـ لا. عندما التقينا للمرة الأولى، لم نكن على علاقة طيبة وقد حاولت المستحيل لتظهر لي أنها لا تبالي بي. أحياناً، جعلتني أفكر أنني أروق لها على الأقل ولكن أظن أن ذلك بسبب الظروف...

سألت ميفرو ڤان درمايس بهدوء تام: «وهل قلت لها إنك تحبها».

ـ لا، وحرصت على ألاّ أظهر لها مشاعري.

تنهدت والدته بصمت. تحبّ جيرارد بشدة وهي فخورة به فهو لامع في مهنته ووسيم ومتواضع على الرغم من نجاحه الباهر، غير أنه يتصرّف الآن كشاب مرتبك يُغرم للمرة الأولى. وقالت ميفرو في نفسها إنّ الرجال متعبون أحياناً.

أرادت أن تطرح الكثير من الأسئلة لكنها فضلت أن تتريث وتنتظر أن يكلّمها هو عندما يجد ما يقوله فراحت تحدّثه عن مسائل عائلية.

أثناء مكوثه في هولندا لإلقاء المحاضرات وحضور بعض اللقاءات مع زملائه، وجد البروفسور بعض الوقت لزيارة السيدة بيكيت.

قرّبت له خدّها ليقبّلها وقالت له: «كم جميل أن أراك سيد جيرارد. ذهبت الآنسة تريسب منذ أسبوع وأنا أتشوق لسماع بعض الأخبار».

أخبرها كل ما يعرفه فسرت كثيراً.

ـ وما الذي أسمعه عن جوليا؟ إنها تراسلني، ليباركها الله. لكنها لم تكتب كلمة واحدة عن نفسها إلاّ هذا اليوم.

نزعت السيدة بيكيت نظاراتها وتابعت حديثها: «وصلتني رسالة منها هذا الصباح. إنها تفتتح متجراً وتضع الكثير من المخططات. يا لهذا الهراء... لِمَ لا تتزوج بدلاً من الاستقلال بنفسها...».

سألها البروفسور: «وأين يقع هذا المتجر؟».

ـ في شيربورن. إنها بلدة صغيرة في دورسيت.

وسحبت السيدة بيكيت الرسالة من جيبها وقرأتها مجدداً: «ستبيع

الأصواف ومواد التطريز وإلى ما هنالك وستعمل قليلاً في خياطة الثياب، إذا استطاعت».

وعندما طوت الصفحة قالت: «نسيت أن أقرأ هذا الجزء من الرسالة؟ ماذا تقول فيه؟».

قرأته ثم نظرت قلقة إلى البروفسور: «تسألني ألاّ أطلع أحداً على مكان وجودها. وقد أخبرتك، سيد جيرارد».

طمأنها بهدوء: «لا تقلقي، دادا. لن أخبر أحداً، أنا سعيد لأنها لا تزال تراسلك، وأن مستقبلها يبدو ناجحاً».

قالت السيدة بيكيت غاضبة: «مستقبل؟ يا لهذا الهراء! فتاة جميلة مثلها تبيع الأصواف للسيدات المسنّات...».

ثم أضافت: «ظننت أنك مغرم بها...».

نظرت إليه وهو مستلقٍ وجايسون عند قدميه، ولمحت ابتسامته العريضة، فابتسمت هي أيضاً وتدفقت الأفكار في رأسها العجوز: زفاف وأطفال وأولاد يأتون لزيارة دادا.

لكنها اكتفت بالقول: «أظنك أخذت وقتك أكثر ممّا ينبغي، سيد جيرارد».

* * *

٩ ـ لمن القرار الأخير؟

تحت إشراف جوليا، أنجز النجار الرفوف وقام ببعض التصليحات بينما تولّى رجلان آخران مهمة فرش السجاد في غرفة الجلوس.

وأتى غيرهما لوضع الفرن والغاز. كما مدّت جوليا خط هاتف على أن يتم وصله بالشبكة بأقرب وقت ممكن.

رأت جوليا أن الأمور تسير على ما يرام فذهبت لشراء الأثاث.

وجدت صالة لبيع المفروشات المستعملة في شارع صغير وأمضت هناك ساعة تقريباً فانتقت طاولة مستديرة وكرسيّين مريحين ومكتبة صغيرة بالإضافة إلى قاعدة خشبية تحمل مصباحاً.

كما اختارت خزانة ذات أدراج ومرآة تلائمها وطاولة صغيرة أخرى لتضعها قرب السرير.

مسرورة بمشترياتها، عادت إلى الشارع الرئيسي واشترت كرسيّاً هزّازاً كلّفها أكثر مما توقعته وكذلك السرير لكنها استطاعت تسديد ثمنهما.

توقفت لتناول الغداء ثم ذهبت لشراء البياضات للسرير والمناشف والشراشف وأواني المطبخ وكل اللوازم الصغيرة التي تتمّم المنزل.

عند المساء كانت منهكة جداً ولكنها استطاعت تدبّر أمورها بدون مواجهة العوائق. خلدت إلى النوم في غرفتها غير المضيافة وفي الصباح

نزلت لتناول البيض الذي لا مفرّ منه، وهي تفكّر بما عليها فعله.

بات المتجر الصغير جاهزاً لاستقبال البضاعة. وقد وصلت كمية الصوف الأولى في فترة بعد الظهر فأمضت جوليا وقتاً طويلاً في ترتيبه على الرفوف التي صنعها النجار. كما تسلّمت جزءاً من الأثاث الذي اختارته.

وعندما رأت السيدة ليغ بولتر، أخبرتها أنها سترحل في الغد فقالت لها بضحكة ماكرة: «حسناً، آمل ألاّ تندمي على فتح المتجر. فأنا واثقة من أن الطلب على الصوف قليل وكذلك على مواد التطريز. كما أنّ هذه المنطقة ليست الأفضل للبيع».

على الرغم من تعبها وخوفها من المستقبل، أجابتها جوليا مبتهجة: «أراهن أنني سأنجح في متجري أكثر منك في تجارة الأسرّة والفطور».

تغيرت تعابير وجه السيدة ليغ بولتر التي أجابت ببرودة: «ليست تجارة، آنسة غرايسي إنما طريقة محترمة تساعد الأشخاص المحترمين على زيادة دخلهم».

قالت لها جوليا بطريقة لاذعة: «لكنك لا تزيدين دخلك كثيراً، أليس كذلك؟ ربما يجدر بك تزيين الغرف بالأزهار وتقديم بعض اللحم عند الفطور».

وانصرفت إلى غرفتها حيث أمضت الساعة التالية خجلة من نفسها. فقررت أن تعتذر في الصباح.

وهذا ما فعلته لأنها رقيقة القلب وإن كانت تفقد أعصابها أحياناً. تجاهلت المالكة اعتذارها وذكّرتها بأن عليها الخروج من المنزل قبل العاشرة قبل أن تقدم لها بيضة مسلوقة قاسية وخبزاً محروقاً عند الأطراف.

عندما غادرت جوليا المنزل، لم تجد لها أثراً. عند الفطور،

انتظرت أن تسدّد جوليا الفاتورة ثم انسحبت من الغرفة بدون أن تنبس بأي كلمة.

بداية نهار سيئة، قالت جوليا في نفسها، على الرغم من أنّ في الأمر طابع طريف ولكن ما من أحد يشاركها ضحكتها، والبروفسور تحديداً... ولكن ما إن دخلت الغرفة خلف المتجر، حتى شعرت بتحسّن. فما تبقى من أثاث بالإضافة إلى الستائر والسجاد أضفت على الغرفة جوّاً حميماً ودافئاً. ثم توجهت إلى المطبخ ووضبت الصحون على الرف ووضعت إبريق القهوة على النار. وقررت جوليا أن تطلي الجدران في وقت لاحق. اجتازت الحمّام ثم فتحت الباب الخلفي. كانت الحديقة مهملة ولكن السياج لا يزال متيناً والمكان يتّسع لمدّ حبل للغسيل.

مضى النهار بسرعة، فريثما وضّبت سريرها وأفرغت حقائبها، حان الظهر. وبعد الغداء، وضبت الخزائن ثم أعدّت فنجان شاي راحت تشربه بالقرب من الموقد. وقرّرت أن ترتّب الواجهة في اليوم التالي قبل أن تفتح المتجر.

في الصباح، اتصلت بروث ومونيكا بعد سبات عميق في سريرها الجديد وقالت لهما ألاّ يقلقا عليها إذا لم تتصل خلال يومين فخط الهاتف لم يوصل بعد بالشبكة. لم تكن علبة الهاتف العمومية بعيدة جداً ولكن ذلك يتطلب منها أن تقفل المحل لإجراء المكالمات وهي لا ترغب بخسارة الزبائن.

بدت واجهة المتجر أخّاذة بعد أن وضعت فيها أصواف الحياكة والخيوط الحريرية وأنسجة التطريز وهرماً صغيراً من الخيطان الملوّنة... جلست وراء طاولة المحاسبة وراحت تراقب المارّة. بعضهم توقف لإلقاء نظرة ولكنّ أحداً لم يدخل. وفكّرت جوليا: «لم أتوقع أي زبون في اليوم الأول».

أرسلت روث ومونيكا بطاقات محمّلة بأطيب الأماني وأرسلت السيدة بيكيت رسالة أيضاً. أمّا البروفسور الذي علم من السيدة بيكيت بتاريخ الافتتاح، فلجم نفسه وامتنع عن إرسال ست دزينات من الورد الأحمر.

استقبلت جوليا الزبونة الأولى في اليوم التالي، إذ دخلت امرأة مسنّة وبعد التفكير مطوّلاً اشترت بكرة خيطان.

هذه الزبونة الأولى من بين عديدات، إن شاء الله.

أقفلت جوليا المتجر وشربت الشاي مع الكعك قرب النار.

بات النهار قصيراً والمساء بارداً ولا بدّ أن تفكر نساء شيربورن بالحياكة والتطريز خلال الأمسيات الهادئة...

لم تتوقع نجاحاً فورياً ولكن مع مرور الأيام وعدم ظهور الكثير من الزبائن، بدأ نشاطها وحماسها يتلاشيان مولدين شكوكاً حاولت إبعادها جاهدة. ربّما لا تجيد نساء شيربورن الحياكة؟ ربما يحتجن لبعض التشجيع؟

فقامت جوليا بتغيير الواجهة، ووضعت فيها نسيجاً صوفياً على وشك أن ينتهي ولوحة مطرزة في الجهة المقابلة وبينهما سلّة مليئة بكل ما تحتاجه الخياطة من لوازم. وجذبت الواجهة بعض الزبائن، ليس العديد وليس بما يكفي ولكنها قالت في قرارة نفسها إنّ الوقت ما زال باكراً.

أتى جورج ومونيكا لزيارة جوليا فجالت معهما في المتجر والمنزل وأكّدت لهما أن كل شيء على ما يرام وأنها سعيدة أكثر من أي وقت مضى.

في طريق عودتهما إلى المنزل سألت مونيكا جورج: «إذن لِمَ تبدو هكذا؟ وكأنّ نهاية العالم وشيكة؟ أعلم أنها أمضت الوقت بالضحك والتكلّم بدون انقطاع، لكنها ليست كالعادة».

وعلت التكشيرة جبينها فجأة: «أتظن أنها...؟».

أجابها جورج: «أوافق بأنها ليست سعيدة ولكن إذا أرادت أن تخفي عنّا مشاكلها، أظن أنّ علينا احترام قرارها».

قالت مونيكا: «إنها مغرمة».

لم يعلّق جورج على الموضوع فهو يحب شقيقة زوجته كثيراً ولكنها شابة مستقلة جداً واعتبر أنه لا يجدر به أو بشقيقتيها التدخل.

نقلت مونيكا قلقها إلى روث في مكالمة هاتفية ثم أضافت: «وجورج يقول بأنه لا يجدر أن نتدخّل».

فوافقته روث الرأي: «لن نتدخل ولكنها قد ترمي بعض التلميحات».

ولم تتمالك نفسها، فقالت لشقيقتها إنه ما من مرة التقت فيها البروفسور، وأتى على ذكر جوليا. وهي تشارك ميفرو ڤان درمايس رأيها بأن الرجال متعبون أحياناً.

بمناسبة تقاعد أحد المستشارين في المستشفى، دعيت روث وتوماس لحضور حفلة وداعه. إنها حفلة هادئة يقدّم فيها الشراب وبعض الطعام الخفيف. وبعد أن انتهى وقت الخطابات، حظي الجميع بالوقت للتكلم، والتحادث، ولزم روث بعض الوقت لتتكلم مع البروفسور على انفراد.

تكلّما قليلاً عن المستشار المتقاعد ومن ثم طرحت روث بعض الأسئلة عن موعد عودة البروفسور إلى هولندا وأخيراً دخلت صلب الموضوع آملة أن تكون طريقتها غير مباشرة.

- إذاً ستعود إلى هولندا...؟

نظرت إليه ثم تابعت حديثها: «أفترض أنك ستعود إلى منزلك العزيز. لقد أمضينا عطلة رائعة. جوليا أيضاً أحبّت المنزل. لقد استقرت الآن. أتعرف؟».

- قيل لي إنّ شيربورن بلدة جميلة وسمعت أنها افتتحت متجراً هناك.

فغرت روث فاها: «هل تعرف؟ من أخبرك؟ قطعنا لها وعداً بألاّ نخبر أحداً...».

ابتسم عند رؤية وجهها القلق: «عرفت بأنها فعلت ذلك. لم يكن اكتشاف مكان سكنها بالأمر الصعب».

- لماذا تريد أن تعرف؟ أقصد أنك... اعتقدت أنكما لا تحبان بعضكما كثيراً وإن كنت دائماً بجانبها عندما تحتاج مساعدة.

ثم تابعت بقلق: «أنا آسفة... لم يجدر بي قول ذلك. ولكنها شقيقتي وأنا أحبها كثيراً».

اقترب منهما عضوان في لجنة المستشفى فقال البروفسور: «وأنا أيضاً».

ثم استدار ليلقي التحية عليهما فلم يتسنّ لها أن تكلمه مجدداً. وعندما سألت توماس بعد أيام بطريقة غامضة إذا ما كان البروفسور قد عاد إلى هولندا، أجابها بأنه لا يزال في المستشفى يعمل بكد.

لكنه لم يذكر لها أن رئيسه منشغل لأنه يخطط لعطلة.

أقرّت مونيكا على الهاتف أنّ ما من شيء تستطيعان فعله.

- جوليا عنيدة جداً وإذا عرفت بهذا الأمر، فهي مستعدة لإقفال المتجر والإختفاء عن وجه الأرض. أمّا جيرارد فلن يتصرّف إلاّ عندما يحين الوقت المناسب. عندما تفكرين بالأمر، تجدينه محتماً، أليس كذلك؟ لكن أحدهما يعارض الآخر منذ التقيا. أليس كذلك؟ إنما يبدو جلياً أنّ أحدهما خُلق للآخر...

بعد أسبوع، ودّع البروفسور السيدة بوتس في صباح مشرق وبارد وتوجه نحو غرب لندن مع ويلف وروبي في المقعد الخلفي للسيارة.

أقرّت جوليا وهي تحصي ما جنته خلال الأسبوع أن العمل بطيء.

أتى بعض الزبائن ولكن أيّاً منهم لم يشتر أكثر من بكرة صوف أو بعض خيطان التطريز الحريرية.

وعلى الرغم من معرفتها البسيطة في الحسابات، أدركت أنها تتعرض لخسارة... ولم يمضِ على افتتاح المتجر سوى ثلاثة أسابيع حتى أعادت ترتيب الواجهة وقالت في نفسها إنه يلزمها أشهر لكي تؤسس عملها فعلاً، ثم أعدّت فنجان قهوة وهي مصممة على ألاّ تثبط عزيمتها.

كوفئت على تصميمها هذا، فبعد نصف ساعة دخلت زبونة واشترت ثلاث أونصات من الصوف وبعض إبر الحياكة. وتبعتها عابرة سبيل أخرى أرادت شراء نموذج للتفصيل. وأمضت وقتاً طويلاً تبحث بين النماذج التي عرضتها عليها جوليا، تختار بدقة كمن ينفق المئات على ما يشتريه.

ولم تكن السيدة قد توصلت إلى قرار بعد عندما فُتح باب المتجر مجدداً ودخل البروفسور.

تنهدت جوليا فنظرت السيدة حولها ثم عادت إلى النماذج. وأخيراً قالت لجوليا إن أيّاً منها لا يعجبها وإنه من المستحسن أن تقصد متجراً أكبر وخرجت من الباب.

غادر البروفسور مكانه واتجه إلى طاولة المحاسبة وهو يحني رأسه لئلا يرتطم بالسقف.

قال لها بلطف: «آمل أن يكون زبائنك الآخرون أفضل من هذه السيدة».

حدّقت جوليا فيه وقلبها يتخبط بين أضلعها وفكّرت أن الحب يجعل العاشق شخصاً طائشاً. ولكنها شكّت أنّ السيدة كانت لتبتاع شيئاً لو لم يدخل هكذا.

اتكأ على الطاولة مبعثراً النماذج وقال: «لقد هربت...».

ـ لا، لم أفعل. لطالما أردت متجراً خاصاً بي وحياة مستقلة...

اتكأ أكثر فوق الطاولة وفتح الدرج ونظر إلى ما يحتويه من مال ثم قال: «لديك متجر ولكن هل أنت مستقلة؟ أهذا ما جنيته خلال اليوم؟».

كادت تستسلم للكذب إلاّ أنها عجزت لسبب ما وإن كان الموضوع سخيفاً فأجابت: «بل خلال الأسبوع».

أغلق الدُرج وتابع حديثه: «إنه نهار جميل. هل تقبلين دعوتي على الغداء؟».

وعندما تردّدت، سألها: «هل ذهبت يوماً إلى ستورهيد؟ هناك بحيرة رائعة يسبح فيها البط وتحيط بها الأشجار من الجهات كلها ويخيم عليها سكون العالم بأسره».

ابتسم ببطء وأضاف: «لساعة أو اثنتين؟ عليك أن تقفلي المتجر عند الغداء وساعة إضافية لن تؤخرك كثيراً».

ـ حسناً، لا بأس ولكن عليّ العودة بعد الظهر.

تقدّمت من خلف الطاولة ووضعت لافتة «مقفل» على الباب ثم سألته وهي تدير له ظهرها: «هل أنت في عطلة؟».

ـ نعم، ليوم أو اثنين.

ـ ألن تذهب إلى هولندا؟

ـ بلى ولكن ليس الآن.

قالت له: «لن أتأخر، سأحضر سترتي».

وفتحت باب غرفة الجلوس.

ـ يمكنك أن تنتظر هنا...

تركته هناك وصعدت إلى غرفتها حيث ارتدت سترة وحذاء مناسبين ثم سرّحت شعرها قليلاً ووضعت أحمر شفاه ونزلت إلى الطابق السفلي. وعندما رأته مرتاحاً في كرسيه كما لو أنه في منزله شعرت أنها

تكاد تفقد صوابها.

وتساءلت عن سبب مجيئه وكيف عرف أنها هنا. ربما أتى ليخبرها أنه سيغادر نهائياً إلى هولندا ليتزوج ويعيش في منزل أمستردام. لا شك أنه سيخبرها بذلك عند الغداء.

كان قد ركن سيارته في آخر الشارع وسرّت كثيراً لرؤية روبي وويلف جنباً إلى جنب في المقعد الخلفي.

فتح لها الباب وجلس بالقرب منها.

ـ سنذهب إلى ستورهيد. فهذان الكلبان بحاجة لنزهة.

خرجا من البلدة وهما يتحدثان بأمور لا تحتاج إلى تفكير عميق.

سلكا طريقاً ريفية هادئة لا تحيط بها قرى كثيرة والبلدة الوحيدة التي مرّا بها هي وينكانتون. كان النهار مشرقاً والخريف قد لوّن الأشجار بحلته التشرينية الجميلة. بدت الأشجار المتدلية من فوق السور الحجري الذي يحيط بالطريق كنفق كبير يؤدي إلى ممر ضيق يحيط به من الجهة اليمنى مطعم ومنزل أو اثنان من الجهة الأخرى.

ركن جيرارد سيارته في موقف المطعم وقال لجوليا:

ـ يمكننا تناول طعام الغداء هنا. هلاّ ارتشفنا فنجان قهوة ومن ثم أخذنا الكلبين في نزهة؟ أمامنا متسع من الوقت.

ـ نعم. أودّ ذلك. هل يُسمح لويلف وروبي بالدخول؟

ونظرت إلى وجهيهما الموبرين وقالت: «لم أتصور يوماً أنك تقتني كلبين مماثلين».

احمرّ وجهها لأنها أفصحت عن أفكارها بصوت عالٍ وبدا ما قالته قاسياً.

ابتسم قليلاً: «ولا أنا. لن أتخلّى عنهما مقابل ثروات العالم».

وتابعا حديثهما وهما يدخلان المطعم: «أضف أنهما يؤنسان السيدة بوتس عندما تكون أنت في هولندا. هل ستأخذهما معك عندما

تغادر انكلترا؟».

قال لها وهو يفتح الباب أمامها: «سيرافقانني أينما أذهب».

لم يكن في المطعم سوى النادل الذي ألقى عليهما التحية وهو يكدّس الأكواب ولم يعترض على وجود ويلف وروبي وقال لهما إنّ القهوة ستحضر في الحال.

وراحت الأفكار تضجّ في رأس جوليا، ما كان علي أن أرافقه.

لكنها عرفت أن ما من شيء كان ليردعها. شعرت وكأنها تركت وراءها عالمها الأرضي لتلج عالماً آخر لا يقطنه سوى جيرارد.

ولكنها قالت في قرارة نفسها إنّ هذه هي المرة الأخيرة وقد نسيت عدد المرات التي كررت فيها هذه الجملة نفسها.

تمكّن البروفسور من قراءة الأفكار التي تجلّت واضحة على وجهها، واكتفى بالقول: «هلاّ ذهبنا؟ إذا تنزهنا حول البحيرة، سيستغرق ذلك حوالى الساعة».

تجاور المطعم كنيسة صغيرة وقديمة. وبينما كان جيرارد يستلم البطاقات عند البوابة، تمشت قليلاً في الجوار وراحت تنظر إلى المباني القديمة. فالمكان جميل وساكن بسكون الأزمنة والأزهار تزينّه من كل حدب وصوب. وفجأة شعرت بذراع جيرارد تمتد لتلمس كتفيها. وقفا جنباً إلى جنب بدون أن يتكلما ثم استدارا واجتازا الممرّ معاً.

كان الكلبان بانتظارهما، فاستهلّوا نزهتهم حول البحيرة ببطء إذ هناك مناظر كثيرة تستحق المشاهدة. أشجار فارعة الطول وشجيرات مزهرة وطيور بط تعوم على الماء أو تختبيء بعيداً عن الممرّ، معابد يونانية، شلالات وجسر خشبي تمرّ من تحته أسراب من الاسماك الصغيرة. لم يتكلما كثيراً ولكن بين الحين والآخر كانت جوليا تضغط على ذراع جيرارد لكي تريه منظراً جميلاً.

لم يكن المكان يعجّ بالناس فشعرت العصافير بالأمان.

أخيراً وجدا كهفاً في أسفل بعض الدرجات قبل أن يعودا أدراجهما.

في هذه الأثناء، أتى بعض الأشخاص إلى المطعم. جلسا على طاولة منفردة وبعد أن تناول الكلبان البسكويت والماء جلسا عند قدميهما بينما تناولا طعاماً قروياً وارتشفا القهوة. ولم تفكر جوليا عندئذٍ لا في الماضي ولا في المستقبل بل في الحاضر السعيد.

نظرت إليه فالتقت نظراتهما، وقالت له بجدية: «أنا سعيدة».

فالتمعت عيناه عند سماع ذلك.

في طريق العودة إلى شيربورن، تحدّثا عن نزهتهما وعمّا رأياه.

وعندما وصلا أمام المتجر، ترجّل من السيارة وفتح لها الباب فشكرته. عندئذٍ، أكد لها أنه استمتع بوقته بقدر ما استمتعت هي ثم لوّح لها بيده مودّعاً.

بقيت أمام الباب تنظر إليه وهو يبتعد بسيارته ثم دخلت غرفة الجلوس. أرادت أن تبكي ولكن قد يدخل أحد الزبائن، إلاّ أن هذا لم يحصل فأقفلت الباب عند الخامسة والنصف وحضّرت فنجان شاي. لم تشعر بالجوع لا سيما وأن التفكير بالغداء الذي تناولته برفقة البروفسور قد يحلّ مكان العشاء.

لم تذق طعم النوم، بل استلقت في سريرها وهي تفكّر فيه.

لديه نهار عطلة وبما أنه اكتشف مكان وجودها قرّر أن يزورها في الريف. ودّعها بطريقة عادية جداً ولم يظهر أيّ اهتمام خاص بها، هذا إذا كان مهتماً في كل الأحوال. لكنه تصرّف معها بلطف بالغ في بعض المناسبات، ربما بسبب توماس...

أخيراً أغمضت عينيها ونامت لكنها استيقظت فجأة عندما سمعت جرس الباب يُقرع... لا بدّ أن ساعي البريد قد فقد صبره. انتعلت خفيّها وأسرعت إلى الباب تفتحه.

دخل ويلف وروبي وتبعهما البروفسور وأغلق الباب خلفه ثم أقفله بالمفتاح وراح ينظر إلى ذاك الوجه الذي أثقله النعاس وإلى ذاك الشعر الجميل. هو أيضاً لم ينم ولكنّ ذلك لم يظهر على محيّاه الهادىء.

دنا منها وتوسّلها قائلاً: «قولي لي الحقيقة. هل أنت سعيدة هنا؟».

دمعت عيناها.

- إذن هل تتزوجين بي؟ انتظرت طويلاً إلى أن تؤسسي عملاً لك إذ بدا لي أن هذا الأمر يهمك أكثر من أي شيء آخر. ولكن للصبر حدود وقد نفد صبري. ولكن إذا طلبت مني الرحيل، فسوف أرحل.

أجهشت جوليا بالبكاء وتمتمت: «لا ترحل، أرجوك لا ترحل».

ثم أضافت: «لا يجدر بك أن تكون هنا. إنها السابعة صباحاً. وإذا كنت تحبني، لِمَ لم تقل لي؟ ثم أنا لا أريد أن أكون مستقلة. إنّما لم يكن لدي خيار آخر خاصة وأنني ظننت أنك لا تحبني».

أجابها البروفسور مهدئاً: «حبيبتي. سأقولها لك مباشرة. وقعت في حبك منذ لقائنا الأول وإن لم أدرك ذلك على الفور. ولم أكفّ يوماً عن حبك ولن أفعل أبداً».

رفعت رأسها لتنظر إليه وتبتسم له، فأجابها: «حقاً».

بعد ذلك، صعدت جوليا إلى غرفتها لتبدّل ملابسها في حين بقي جيرارد في المطبخ ليحضر الشاي. أمّا الكلبان فراحا يلعبان في الحديقة الخلفية.

وراحت الأفكار تتدافع في رأسها: سيتزوجان في أسرع ما يمكن وتعود معه إلى لندن. لن تقلق بشأن المتجر فسوف يهتم هو بالمسألة. وسيعيشان في منزله الجميل في أمستردام.

ولكن أيّاً من هذه الأفكار لم يكن مهماً فالفكرة الوحيدة التي

شغلت بالها وأضرمت النار في قلبها هي أنه يحبها.

عقصت شعرها وتبرّجت قليلاً وهرولت إلى الطابق السفلي لتقول له مرة أخرى إنها تحبه هي أيضاً.

***

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة